

ابن أريد أن الإصباح ما استطعت (١١)

القرآن يتجدد

المؤلف: كمال الدين

الدكتور محمد عارف

مكتبة الديار للنشر والتوزيع

القرآن مجيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ابن أبي عمير قال: ما استطعت (١٠١)

الْقُرْآنُ يَتَجَدَّى

الْمَدِينَةُ كَمَا لَا يَسْتَوِي
الذِّكْرُ وَخَلْدُ عَمَارَةٍ

مَكَاتِبُ الْجَمْعِ الْخَاتَمِ



١٤٢ هـ - ٢٠٠٩ م

وفاء الإبداع بدار الكتب المصرية

٢٠٢٠ - ١١ / ١ / ٢٠٠٩ م

ISBN

977-9291-95-X

مطابقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

عمارة ، محمد

القرآن متحدى / محمد عمارة . - القاهرة : مكتبة الأمام البخاري للنشر
والطبع ، ٢٠٠٩ .

٣٤٠ ص ٢٠١ سم (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت - ١١)

X ٩٥ ٥٢٩١ ٩٧٧

١ - القرآن - إعجاز

٢٢٩ ، ٧

أ - العنوان ب - السلسلة

مكتبة الأمانة العامة للثقافة والفنون

الطبعة ٢٠٠٩ - الطبعة الأولى - دار الفنون - القاهرة - ٢٠٠٩

٢٠٠٩ - ١١ / ١ / ٢٠٠٩ م



مَقَاتِلُهُ

عند المحطة الأولى لروول القرآن الكريم - بحكة المكرمة - .. وعلى امتداد
سواحل روله - بالمدينة المنورة - .. كان الإعلان عن أنه « الشَّعْبُ
الْمُتَّحِدِي » . و « الْمُتَّحِدِي - المعبر » .. لا للعرب وحدهم . ولا للشرق
المعاصر فقط . بل للإناس والجن فاطلة ، غير الزمان والمكان .. وإلى أب
يرت تلك الأرض ومن عليها ..

لقد تحداهم أن يأتوا بعثله .. فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله ..
فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بحديث مثله .. فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا
بسورة من مثله ، وأن يستحيوا على ذلك بكل من وما دول الله - سبحانه
ونعالي - .. وفضح قبطا جارفا ومتحدبا معمرهم عن ذلك ، غير الزمان
والمكان ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ [البرق: ٦٤] .

نعم ! .. ففي سورة الإسراء - المكية - ﴿ قُلْ لِّيَ أَتَّخِذَ إِلَهًا
وَالَّذِينَ عَنِ اللَّهِ يَأْتُوا يَبْشُرُونَ هَذَا الْفُرْقَانِ لَا يَأْتُونَ بِبَشِيرٍ . وَلَوْ كُنَّا نَعْلَمُ
بِشَيْءٍ مُّهِينٍ ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

وفي سورة هود - المكية : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ مَا مَنَّا بِمُشْرٍ سَوِيٍّ
يُشْرِي . مُّفَرِّقِينَ رَأْعًا مِّنْ اسْتَفْهَمُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » فَإِنْ
بَسْتَجِيبُوا لَهُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِهِمْ نَزْلًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَتَتْ
كُتُبُهُمْ ﴾ [هود: ١٣ - ١٤] .

وفي سورة النور - المكية - ﴿ لَمْ يَقُولُوا نَقُولُهُمْ قُلْ لَا يُؤْمِنُونَ - قِيَاؤُهُمْ بِحَبِيبٍ
يُشْرِي . إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [النور: ٣٣ - ٣٤] .

وفي سورة البقرة - المدنية - ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا رَوَيْنَا عَنْ
عِبَادِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ . وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

صَبِيحِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَمْ تَفْعَلُوا فَأَلْعَنُوا أَلْعَنَ إِلَهِي وَهُوَ مَا الْإِنْسَانُ
وَالْجِبَانَةُ أَيْتُ الْكُفْرِينَ ﴿٢٣﴾ [البقرة ٢٣ - ٢٤] .

ولقد استمع المصحاء والبلعاء من قریش .. واتخذوا أحد رعمائهم .. وعلمهم
وقصائهم .. والملقب « بالعدل » - لأنه كان عدل قریش كلها . اتخذوا
« أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم [٩٥ ق. هـ
٥٣٠ - ٦٢٢ م] » لسماع القرآن . وليحيى علي التحدي .. فذهب إلى
رسول الله ﷺ وهو بالمسجد وسمع منه سورة « عامر » . لما كان من عدل
قریش وقاصيها ورعيها إلا أن شهد - وهو علي شريكه .. ورسلته - فقال لقومه
« والله لقد سمعت من محمد كلاماً أنفاً ما هو من كلام الإنس ولا من
كلام الجن . والله ما هو بكاهن ، فقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن
ولا سجع . والله ما هو بمجنون ، فقد رأينا المجنون وعرفناه . فما هو
بختلق ولا تخالجه ولا وسوسته . والله ما هو بشاعر ، فقد عرفنا الشعر كله
زجرته وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بشاعر . والله ما هو
بساحر ، فقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بتفث ولا غفد ..
والله إن لقوله حلاوة ، وإن عليه طلاوة ، وإن أصله لمغدق ، وإن فرعه
لمعصر ، وإنه يعلو ولا يغلي عليه .. وما أنتم - [يا معشر قریش] - بقائلين -
[فيه] - من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل ، !! »

ولقد استمر التحدي على امتداد التاريخ .. واستمرت الشهادات - شهادات
العلماء الجراء الحكماء البلعاء للقرآن الكريم .. للتحدي المعجز .. والإعجاز
المتحدي .. ومن سادح هذه الشهادات :

« قول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين [٢٤٥ - ٢٩٨ هـ
 ٨٥٩ - ٩١١ م] القرآن - محكم ومشاهه ، وتنزيل وتأويل ، وحاسر
 وحام . وحلال وحرام ، وأمثال وعبر ، وأخبار وقصص ، وظاهر وباطن .
 وكل ما ذكرنا يصدق بعضه بعضاً ، فأوله كآخره ، وظاهره كباطنه ، ليس فيه
 تناقض .. نأخذ بمحكم القرآن ، ومقر بمشاهبه ، أنه من اللوح هو الذي أنزل الله
 المكتوب منه ما ثبت تحكمت من أم الكتاب ولقر مقتبست مما ألقى في قلوبهم ربيع
 فينبهون ما فتنه الله [إلخ] ١٧ فدللت جعل المحكم إما قائل لمشاهبه .
 وعلى اعتماد تاريخ القرآن الكريم ، أندع العقل المسلم من حوله التأليف في
 دون « علوم القرآن » ، إعانة لطالبي تاريخه وأسواره .. وإقامة للحجة على
 المعاندين .. حتى عدت الشهادات على تحدي القرآن وإعجازه فثا من فنون
 التأليف .. التي تحتاج إلى الجمع والتأليف والتصنيف .

« وفي عصرنا الحديث .. كتب الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده
 [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] - وهو من أئمة البلاغة
 والبيان في عصره - .. كتب ، عن إعجاز القرآن الكريم وتحديه ، فقال .
 « لقد حاشنا الخير المنواتر الذي لا تتطرق إليه الريبة أن النبي ﷺ كان في نشأته
 أمياً ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه حاء بكتاب قال : إنه أنزل عليه وأن ذلك
 الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف ، والمحموظ في الصدور . نزل
 القرآن في عصر اتفق الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى الأعصار عند العرب ،
 وأغزرها مادة في الفصاحة ، وأنه الممتاز بوفرة رجال البلاغة ورسا الحطاب .
 وأغس ما كانت العرب تتنافس فيه هو الجلب في القول ، والسبق إلى إصابة مكان
 الوجدان من القلوب ومقر الإبداع من العقول . وتواتر الخبر كذلك بما كان
 منهم من الحرص على معارضة النبي ﷺ ، والتعاسيه الوسائل لإبطال دعواه ..
 ولقد تحداهم بالإثبات بمثل أقصر سورة من ذلك الكتاب ، أو عشر سور من

مفله ، وكان في استطاعتهم أن يجمعوا إليه من العلماء والفصحاء الدلاء ما شاءوا ، ليأتوا بشيء من مثل ما أتى به ، لينظفوا الحجة ، ويحموا صاحب الدعوة . وجاء الحير المتواتر أنه مع طول زمن التحدي ، ولجأ القوم في التعدي أصبوا بالعجز ، ورجعوا بالحجة ، وحقت للكتاب العربي الكلمة العليا على كل كلام ، وقضى حكمه العلي على جميع الأحكام .

أليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمي أعظم معجزة وأدل مرهان على أنه ليس من صنع البشر ؟ وإنما هو النور المسبب عن شمس الله الإلهي ، والحكمة الصادرة عن المقام الرباني على لسان نبي الأمي ، صلوات الله عليه .

ولقد ثبت بهذه المعجزة العظمى وقام القليل بهذا الكتاب السامي الذي لا معرض عليه التغيير ولا يتأوله التبدل أن لنا محمداً ﷺ ورسول الله إلى خلقه ، فيجب للمصدقين رسائله ، والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه ، والأخذ بكل ما ثبت عنه من هدي وسنة متبعة .

وقد جاء في الكتاب أنه خاتم الأنبياء فوجب علينا الإيمان بذلك كذلك .. إن القرآن كلام سماوي ، نزل من حضرة الربوبية ، التي لا يكتفه كتبها ، على قلب أكمل الأنبياء . وهو يشمل على معارف عالية ، ومطالب سامية ، لا يتصرف عليها إلا أصحاب التعوس الزاكية والعقول الصامدة . وإن الطالب له يجد أمامه من الهيبة والحلال ، الفائض من حضرة الكمال ، ما يأخذ بتلايه ، ويتخذ بحول دون مطلوبه .

ولكن الله تعالى حثف عليها الأمر ، بأن أمرنا بالهضم والتعقل لكلامه ، لأنه إذا أزل الكتاب بوراً وهدي ، مبيحاً للناس شرائعه وأحكامه ، ولا يكون كذلك إلا إذا كانوا يعهونه .

فدوم على قراءة القرآن . وتعمهم أوامره ونواهي ، ومراعطة وعمره ، كما كان

يُجَلِّي عَلَى الْحُورِ وَالْكَافِرِ أَمَ الْوَحْيِ . ثُمَّ اذْهَبَ إِلَى مَا يَشْهَدُ الْقُرْآنَ
إِلَيْهِ ، وَالْحَمْدُ بِقِسْمِكَ يَجْلِي مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ ..

ولقد حظ القرآن للعرب حُرْفًا للشعر ، ومهَّد لهم سبلاً جديدة لصوغ الأساليب ، أخرج بهم من ضيق ما كانوا الثمره ، وهد بهم عن تكلف كتاباتهم . [أحسنه وألقوه] .. ولقد كان المدون راعي الغم ، يسمح القراء بيجر له ما حذا لم يحده من قوة الإحساس والخطب الشعوري .

والجدة: قال الأصبهني [١٢٢ - ٢١٦ هـ / ٧٤٠ - ٨٢١ م] سمعت **ابن أبي**
الأحراب - **جصاصية** أو **مصاصية** - **الشمس** ،

أَسْتَعْمِرَ إِلَهُهُ لِدُنْيَاهِ كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْ سَأَلْنَا بِعَمِيرٍ جَلَدَهُ
مِثْلَ عِرَالٍ نَاعِمٍ فِي دَلِهِ وَأَمْنَصِفَ اللَّيْلِ وَلَمْ أَصْلِهِ
فَقُلْتُ لَهَا قَالَتْكُ اللَّهُ مَا أَفْضَحْتُكَ ۖ ۱۱ . فَقَالَتْ : وَبِحُكِّ أَتَعُدُّ هَذَا
قِصَاصَهُ ، مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَوَيْتَنَا إِلَى آيَةٍ مَوْثِقَةٍ أَنْ أَرْسِلَهُ قَرَارًا جَفَّتْ خَابِئِهِ
كَأَنِّيهِمْ فِي الْبَيْتِ وَلَا تَحَابِي وَلَا تَحَرَّكِي إِنْ رَأَوْهُ يُخَلِّبُ وَيَسْأَلُوهُ مِنْ
أَنْتَ سَائِلٌ ﴾ [البصير : ٢٧] ، فَجَمَعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَمْرٍ وَرَهْبٍ وَشَاوَرِي ۖ ۱۲ .

أما تلميذ الأستاذ الإمام . رحمه الأمة .. وقائد أعظم ثورات الشرق في القرن العشرين سعد زغلول باشا [١٢٧٣ - ١٣٤٦ هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧ م] الذي انتقد كتاب [الإسلام وأصول الحكم ١٩٦٦ م] لتفويض علي عبد الرزاق [١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦ م] سنة ١٩٦٥ م لمخابه من محاولة لعلمية الإسلام ، وانتقد كتاب [في الشعر الجاهلي] للذكوري طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٥٣ هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م] سنة ١٩٦٦ م . أما من تطاول على الصديق التاريخي لبعض قضاة القراء . وكتب براء مستظاف علي

تقضى العلامة محمد فريد وحدي [١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ - ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م]
 لكتاب [في الشعر الجاهلي] .. فإنه هو الذي تحدث عن الإصحاح المتحدي
 للقرآن الكريم - في تقديمه لكتاب العلامة مصطفى صادق الرافعي [١٢٩٧ -
 ١٣٥٦ هـ - ١٨٨٠ - ١٩٣٧] (إصحاح القرآن والسلاطة السوية) سنة ١٩٢٦ م
 .. فقال : « لقد تحدى القرآن أهل البيان ، في عبارات فارغة محرجة ، ولهجة
 واحزة مرغمة ، أن يأتيوا بمثله أو سورة منه ، فما فعلوا ، ولو قدروا ما تأخروا
 ، لشدة حرصهم على تكذيبه ، ومعارضته لكل ما ملكت أيماهم ، واتسع له
 إمكانهم » . هذا المحز الوضع بعد ذلك التحدي الصارخ ، هو أثر تلك
 القدرة الفائقة . وهذا السكوت الذليل بعد ذلك الاستغزاز الضامخ ، هو
 أثر ذلك الكلام العزيز » ..

« أما الرافعي وهو من أئمة السلاطة في القرن العشرين .. منه : المقاتل عن القرآن
 الكريم » : إن القرآن أنزل لتكون كل نفس سامعة نسج حية من معاية ،
 ولتكون هو النفس المعوية الكبرى . فهو كتاب ، ولكنه مع ذلك مجموعة
 العالم الإنساني » .

وإذا كان أساطين البيان والسلاطة والتفصاحة - من مشرقي فرج - في
 القرن السابع الميلادي - قد شهدوا بأن هذا القرآن الكريم لا يمكن أن يكون
 قول بشر .. شهدوا بذلك وهم على شركهم ووثنيهم . فإن القرن العشرين قد
 جعل بشهادات عدد من غرباء اللاهوت ، الذين تحروا في الكتب المقدسة
 لدى الديانات السماوية الثلاث - اليهودية .. والمصرية .. والإسلام .. جعل
 بشهادات من هؤلاء اللاهوتيين الحبراء للقرآن الكريم بأنه وحي الله المباشر إلى

محمد ﷺ الذي لم يصبه أي تحريف ولا تعيير ولا تبديل .. وأنه عندما تحدى البشر أن يأتوا بشيء من مثله ما كان لأي من البشر أنه يستطيع الاستجابة لهذا التحدي المعجز ، لأنه ليس في استطاعة أي من البشر أن يتحدى آيات الله - القرآن الكريم .

• ويكفي أن نشر إلى شهادة النفس الإنجليكاني العلامة الإنجليزي « هونتجمري وات » [١٩٠٩ - ٢٠٠٦ م] . وهو قسيس إن قسيس . عمل راعيًا للعديد من الكنائس الإنجليكانية في لندن وأوسرة والعدس .. وبعد فقهه لليهودية والنصرانية ، وكتبهما المقدمة ، أمضى أكثر من ثلث فوك في دراسته العربية والإسلام وتولج هذه الحيرة العميقة بتهادنه للقرآن الكريم - من موقعه ككفس نصراي - فقال : « إن القرآن هو وحي الله المعبأتر إلى محمد .. إنه صادر عن الله ، وبالتالي فهو وحي . وليس كلام محمد بأي حال من الأحوال ، ولا هو نتاج تفكيره ، وإنما هو كلام الله وحده . قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه ، ومن هنا فإن محمدًا ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولاً ، ثم لكل العرب ، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين ، وهناك إشارات إلى أنه فوئجه للجنس البشري فاطبة ، وقد تأكد ذلك عمليًا بانتشار الإسلام في العالم كله ، وقلة بشر من كل الأجناس تفريتاً .. وهو يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن نعته ، لأنه يتناول الإنسابة .

إننا نزيد بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول : إن كلمات القرآن ليست نتيجة أي تفكير راع منه .

وعندما تحدى محمد أعداءه أن يأتوا بسورة من مثل السور التي أوحيت إليه ، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجعة التحدي . لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله ، وما كان لبشر أن يتحدى الله .. + ..

هكذا مثل القرآن الكريم .. ولا يزال .. وسيظل .. الإعجاز - المتحدّي ،
والتحديّ - المتفجر ..

وبذلك شهد الحكماء .. البحراء .. العلماء .. اللغاه على امتداد المصور
وصدق الله العظيم :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ مِنْهُ هُدًى لِلتَّقِيّينَ ﴾ ، النّرة ١٢

د. محمد عمار

القاهرة في محرم - ١٤٣٠ هـ

سائر ٢٠٠٩ م

مدخل عن إعجاز القرآن وشجارات

عندما نزل الروح الأمين - جبريل عليه السلام - بالقرآن الكريم على قلب الصادق الأمين محمد بن عبد الله ﷺ .. مثل هذا القرآن - لأول مرة في تاريخ معجزات الأنبياء والمرسلين - المعجزة .. والرسالة .. مقابلة .. فهي الرسائل السانقة على رسالة الرسول الحاتم كانت المعجزات منفصلة عن كتب الرسائل .. فكانت معجزات مادية ، تدهش العقل ، الذي كان في طور الصعولة ، يحتاج إلى الأسفار بالمدحشات .. وعندما بلغت الإنشائية من الرشد - جاءت معجزة الرسالة الحاتمة والحالدة معجزة عقلية - هي القرآن - الذي يحكم إلى العقل ، ويدعو للتفكير والدراسة والظن ، ويستعير العقل لتتفكر ، بدلاً من إدهاشه وتثقله عن التفكير ..

وبعد أن كانت المعجزة العادية - هي الرسائل السانقة - حجة على من شاهدتها واندهش بها فقط - ومن ثمة فإنها موقوتة - جاءت معجزة الرسالة الحالقة في ذات الكتاب الحاتمة ، الذي تعهد الله بحفظه ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَٰحِفَظُونَ ﴾ [الحجر ٩] ، ولم يتركه لحفظ الناس - الذين يحور عليهم الحقناً والسهان والغلال .

وإذا كانت شئة التدافع من الحق والباطل ، هي شئة الهمة عامة ودائمة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عِندَنَا سَيِّفِينَ آخِزِينَ وَآخِزِي يُؤَسُّهُمْ إِنَّا

تَصِفُ رُحْرَتَ الْقَوْلِ حُرُوقًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْنَهُمْ
وَمَا يُفْقَرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأحزاب]

فلقد جاء الإعجاز القرآني متحدثا لكل أصحاب العقائد والتعاسفات
الخارجة عن العودية لله الواحد .. في عصر نزوله .. وعلى امتداد الزمان
والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. الأمر الذي أثار - ولا بد أن
يثير - الافتراءات على هذا القرآن - منذ لحظة نزوله وعلى مر العصور ..
إنه الإعجاز الحائم والخالد لسلسلة النبوات والرسالات .. والتحدى
الدائم للمخارجين عن حظيرة الإسلام .. ومن ثم فإن معارضة الافتراء
عنه ، ومحاولات تشويهه ، هي الأحرى فاعلة على امتداد العصور .
ولذلك ، فإن آيات التحدى قد انتشرت في سور القرآن الكريم :
﴿ اَلَمْ نَكُنْ لَكَ خَلْقًا وَقَدْ نَعْلَمُ ۚ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَيُرْسِلُ الرِّسَالَاتَ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٠]
﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَرْتُمْ لَأَن تُلَاقُوا بِرَبِّكُمْ فَالْتَمِصُوا لِحَاقَاتِكُم مِّنَ النَّارِ وَلَئِنَّكُمْ فَتَنًا لِلَّذِينَ لَا يَلْمِزُونَ عَثَرَ إِنسٍ وَلَا لَآئِمٍ مِّنَ النَّارِ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ ﴾ [التوبة : ٢٥]
﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَرْتُمْ لَأَن تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ فَأَن تُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتُوا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ بِخَفْوَاتِكُم لَدِينٌ ۚ وَالَّذِينَ يُوَفُّوهُمُ الْمَوْتَ كَذِبًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]

﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَرْتُمْ لَأَن تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ فَأَن تُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتُوا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ بِخَفْوَاتِكُم لَدِينٌ ۚ وَالَّذِينَ يُوَفُّوهُمُ الْمَوْتَ كَذِبًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]
﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَرْتُمْ لَأَن تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ فَأَن تُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتُوا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ بِخَفْوَاتِكُم لَدِينٌ ۚ وَالَّذِينَ يُوَفُّوهُمُ الْمَوْتَ كَذِبًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]
﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَرْتُمْ لَأَن تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ فَأَن تُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتُوا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ بِخَفْوَاتِكُم لَدِينٌ ۚ وَالَّذِينَ يُوَفُّوهُمُ الْمَوْتَ كَذِبًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]
﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَرْتُمْ لَأَن تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ فَأَن تُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتُوا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ بِخَفْوَاتِكُم لَدِينٌ ۚ وَالَّذِينَ يُوَفُّوهُمُ الْمَوْتَ كَذِبًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]

﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَرْتُمْ لَأَن تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ فَأَن تُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتُوا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ بِخَفْوَاتِكُم لَدِينٌ ۚ وَالَّذِينَ يُوَفُّوهُمُ الْمَوْتَ كَذِبًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]
﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَرْتُمْ لَأَن تَخْرُجُوا مِنَ الدِّينِ فَأَن تُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتُوا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ بِخَفْوَاتِكُم لَدِينٌ ۚ وَالَّذِينَ يُوَفُّوهُمُ الْمَوْتَ كَذِبًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]

كَانُوا يَسْؤَرُونَ وَيُنَاجَوْنَ وَأَدْعُوا مَن اسْتَطَعُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ
مُكذِّبِينَ ﴿٢٧-٢٨﴾ [يونس .]

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ نَلَّا بِآيَاتِهِ ﴾ . لَيَأْتِيَنَّآ بِحَدِيثٍ يَفِيءُونَ إِن كَانُوا
صَادِقِينَ ﴿٢٣-٢٤﴾ [الزمر .]

﴿ آلَ . نَبِيُّ الْعَالَمِينَ لَا رَبَّ عِندَ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . أَمْ يَقُولُونَ
أَنفَرَهُ نَلَّا هُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ إِنَّا كُنَّا نَقُولُ مَا أَنفَرَهُ مِن نَّبِيِّ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١-٢﴾ [الاحقاف .]

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَنفَرَهُ نَلَّا مَا نَأْتُوا بِشَيْءٍ مِّن سَورٍ يَنبَأُ بِمَعْرِفَتِي وَأَدْعُوا مَن
اسْتَطَعُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ مُكذِّبِينَ ﴾ . إِنَّا لَمَّا بَسَّضْنَاهُ لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّآ
أَنزَلْنَا بِبَيِّنَاتٍ وَإِنَّا لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ لَّكُم مِّن شَيْءٍ ﴿١٣-١٤﴾ [هود .]

﴿ رَبِّ احْكُم بِي رَبِّ إِنَّا عَلَى عَذَابِكَ قَائِلُونَ يَسْؤَرُونَ بِي
يُنَاجَوْنَ وَأَدْعُوا شُرَكَاءَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فَإِن لَّمْ
تَقْعَبُوا وَكُنْ تَقْعَبُوا فَاقْعَبُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٣-٢٤﴾ [الفرقان .]

هكذا تناثرت عشرات آيات التحدي في سور القرآن الكريم ، معلنة
استحالة محاكاة هذا الإعجاز ، لأنه نزيل من حكم حميد .

« عندما تخدئ القرآن جميع المكذبين بأنه الوحي المجد لآل السماء
العظيم . ودعاهم - إن كانوا صادقين - أن يستجمعوا طوائفهم وملكانهم ،
ويجمعوا شركاءهم ومعبوداتهم ، ليأتوا بعشر سور من مثل القرآن .. أو
سورة من مثله . استخدم مصطلح « المثل » .. وذلك لحكمة بالغة لا

يدركها إلا السعاء ، الذين يعرفون أسرار البلاغة التي نعت الدروة في هذا القرآن الكريم .. ففي التشبيهات والمقارنات هناك عدة مصطلحات ، لكن منها معنى محدد في هذه التشبيهات والمقارنات .

هناك مصطلح « التذ » .. وهو يعني المشاركة في الجوهر فقط ، وهناك مصطلح « الشبه » .. وهو يعني المشاركة في الكيفية فقط . وهناك مصطلح « الشكل » .. وهو يعني المشاركة في القدر والمساحة فقط .

لكن مصطلح « المثل » - كما يقول الرابع الأصمعي [٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م] - في كتابه (المفردات في غريب القرآن) : « عام في جميع ذلك » .. أي معناه المشاركة في الجوهر .. والكيفية .. والكمية ، والمفسر .. والمساحة - جميعاً - ..

إن في القرآن محققاً .. لكن وجود السجع في الكلام لا يجعل هذا الكلام « مثل القرآن » .. وإن في القرآن آيات جاءت منظومة مثل نظم الشعر ﴿ قُلْ نَسَآؤُنَا أَنهٗ حَتَّىٰ تُنصَبُوا مِنَّا يُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٦٣] . لكن الشعر لا « يماثل » القرآن . إذ لابد « للمثل » من المشاركة في جميع الجواهر .. وليس في وجه واحد من الجواهر .. كذلك تميز القرآن وامتاز وفارق كل أنواع الإبداع البشري في الصنعة والإبداع . إنه قرآن عربي ، لا تخرج كلماته وآياته وسوره عن حروف العربية ومفرداتها .. ومع ذلك ، فإن أرباب البلاغة قد اكتشفوا - ولا يزالون يكتشفون - أن الإبداع والتركيب والصنعة في هذا القرآن الكريم قد تغيّرت ودارت كل ما اعتاده

البشر الذين استخدموا ذات المفردات ، بما في ذلك صناعة الحديث النبوي ، الذي صاغه الرسول ﷺ - وهو الذي أوتي جوامع الكلم - .
ولذلك ، فلقد أصاب الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م] - لأنه أخذ بلفاء العصر - تكبد الحقيقة ، عندما قال : « إن الكلام العربي : شعر .. ونثر .. وقرآن .. وعلى سبيل المثال ، فإن أسلوب القرآن وصحته بمرदान - دون كل صناعات الأساليب البشرية - باستخدام كلمة « المطر » في العذاب والأذى والافتقار .. أما في السراء فيستخدم كلمة « العيث » .. واستخدام مصطلح « التعبير » للمسلمي .. وفي الإيجاني يستخدم مصطلح « الإصلاح » ، «
و « المرصع » - في القرآن - هي المرأة في فترة الرضاعة .. أما « المرصعة » فهي المرأة في حال الإرضاع ! .. و « الحميم » - في القرآن - يأتي للمحي . أما العيث فهو « حسد » ! .. و « الشبة » تأتي للشخصية .. بينما « العام » يأتي للمقبرة ! .. و « القشم » يأتي لمطلق الجبس .. بينما « الخلف » هو للمحث في الجبس ! .. وهناك فرق بين « المحي » و « بين » الإتيان - في القرآن الكريم - فالمحيي يكون من مكان أو زمان قريب .. بينما الإتيان يستخدم في حالة المكان أو الزمان البعيد ! .. وكلمة « العباد » تعلب في المؤمن المطيعين ، بينما كلمة « العبد » تعلب في الكفار العصاة ! .. ولقد جاءت « السماء » - في القرآن الكريم - مفرداً وجمعاً .. بينما جاءت « الأرض » مفردة فقط ودائماً ! .. وجاء « البحر » مفرداً وجمعاً ، بينما جاء « المصع » مفرداً فقط ! ..

وجاء « النهار » مفردًا ، وإذا جمع استخدم لفظ « أيام » - لا نهر -
 وجاء « الصراط » ، مفردًا ، وإذا أريد الجمع استخدم لفظ « سبل » ! . وجاء
 « النور » مفردًا ، لا جمعًا .. وجاءت « الطلعات » جمعًا لا مفردًا .
 وكان التمام الجمع هي « الألباب » و « الأكواب » و « الأصناف »
 و « الأباريق » و « السراويل » و « الأساطير » و « الأرائك » و « العالمين »
 ولم يرد أي منها مفردًا . فعارفت الصعقة في القرآن الكريم كل صعاعات
 الأساليب البشرية ، بما في ذلك الحديث السوي الشريف .

« في القرآن الكريم من أوجه التماسك ما يعطيه على أية « هندسة »
 بشرية في أي أسلوب من الإبداعات الإنسانية .. وعلى سبيل المثال ،
 فالحروف المعروفة التي بدأت بها بعض السور القرآنية - مثل
 ﴿ اَلَمْ ﴾ .. و ﴿ حَافِ ﴾ .. و ﴿ اَلرَّحْمَ ﴾ .. إلخ . قد اشتملت على
 نصف حروف الأبجدية العربية - أربعة عشر حرفًا - وفي هذه الحروف
 الأربعة عشر حرفًا مقوَّطان - هما (ف ، ن) - والثنا عشر حرفًا غير
 منقوَّضة ! .. وفي أحرف الأبجدية الأخرى الأربعة عشر حرفًا غير
 منقوَّطين - هما (و ، د) - والاثني عشر الأخرى الناقصة مقوَّطة ! ..
 وفي هذه الحروف - التي بدأت بها بعض السور - يضاف الحروف
 المهموسة في الأبجدية العربية ! .. ويضاف الحروف المقلقة ! ..
 ويضاف الحروف المهموزة ! .. وفيها من محارج الحروف النصف من
 حروف كل محرر !! ..

وإذا كان القرآن الكريم قد بدأ بـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ -

في سورة الفاتحة .. فإن كل أرباع القرآن الكريم - الأربعة - قد بدأت -
[الحمد لله] ١ .. بالربيع الثاني يبدأ - بالأنعام - ﴿ نَحْمَدُكَ يَا أَكْبَرُ سَلَّمَ ﴾
الشمس والارض ﴿ وَالرَّبِّعُ الثَّالِثُ بِدَأَ بِالكَهْفِ - ﴿ نَحْمَدُكَ يَا أَلِيقَ
أَنْزَلَ عَنَّا عَذَابَ الْكَيْسِ ﴾ - .. والربيع الرابع يبدأ بماطر - ﴿ نَحْمَدُكَ يَا
مُطِيرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ١ .. ١ ..

وفي هذه القطرة - من البحر الموهب على أن هذه الهندسة المطابقة
لكل ألوان خدمات الأساليب البشرية ، هي إشارة إلى كنوز الإعجاز
المودعة في القرآن الكريم - الذي لا تنهي عنايته - ..

شهادات

ولأن الصعلة لا تُشرك قنوتها ومستواها إلا العلم .. ولأن العلم لا
يُشرك أسرارته إلا العلماء .. رأينا شهادات أهل صناعة البلاغة لإعجاز هذا
القرآن .. ولعمري .. ولعمرافته صافات البشر والمعتقد والميسر للناس .
فأما عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
[٩٥ ق . هـ - ١ هـ / ٥٣٠ - ٦٢٢ م] - وهو من رعماء قريش ..
ورأى فيها .. ومن قصيدة العرب في الجاهلية - « المُتَلَقَّبُ » « العَذَلُ » - لأنه
كان عذلاً قريش كلها - عندما شجع رسول الله ﷺ - يقول - وهو في
المسجد - سورة « عامر » - أدرك - رعم شركه - أنه أمام صعدة إعجاز
معارقة لقدرات البشر وعاداتهم وإمكاناتهم .. فقال : « والله لقد سمعتُ
من محمد كلاً ما آتانا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، والله ما

هو يكاهن ، فقد رأينا الكُهان ، فما هو زمزمة الكاهن ولا سمعته ، ووالله ما هو مسمونون ، فقد رأينا الحوود وعرفناه ، فما هو بهنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . ووالله ما هو بشاعر ، فقد عرفنا الشعر كله ، وجزءه وجزءه وقصره ومضوضه ومبسوطه ، فما هو بشاعر . والله ما هو بمساحر . فقد رأينا المشخار ومسحروهم ، فما هو بهنقه ولا شقده .. والله إن الفؤاد حلاوه ، وإن عليه طلاوة ، وإن أصله لمعقد ، وإن فزعه لمعمر ، وإنه علو ولا بغلى عليه .. وما أنتم - [يا معشر قريش] بفائلين [فيه] - من هذا شيئا إلا وأما أعرف أنه باطل » [١] .

لقد شهد الصالح العاهر لأله « عدل » - رحم شر كه - بأن ما سمعه « ما هو من كلام الإيس ولا من كلام النجى » أبدا .. ومن ثم فلا بد أن يكون كلام رب الإيس والنجى مسحانه وتعاني رب العالمين ..

أما عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - أبو الوليد - [٢ هـ - ٦٢٩ م] وهو من سادة المشرك في مكة - فليقد شهد - هو الآخر - رعب شر كه - معارفه القرآن الكريم لطافات البشر وقدراتهم .. فقال : « لقد سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة .. ووالله ليكون لهذا الذي سمعت نأ عظيم » [١] .

هكذا وثق الحراء ، وأساطين الملاعة والمصاحبة ، أمام هذا الإعجاز القرآني . شاهدين بألوهيته .. حتى وإن شغلهم العصبية الحاملية وتقليد الآباء من إعلان الإيمان برسالة هذا القرآن الكريم .

• هي سنة ١٩٢٦ م كتبت الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ

١٨٨٩ - ١٩٧٣] كتابه [السمر الجاهلي] - وكان الرجل في ذلك التاريخ يقرأ بمرحلة ابهاره بالسودج الحضاري العربي . فسطر في هذا الكتاب ثمانية وعشرين سطراً شكَّكَ فيها بعض ما ورد في القرآن الكريم - من رحلة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - إلى الحجارة ، وإقامتهما قواعد البيت الحرام - ثم غُذِفَ الرجلُ هذه المسطور ، وطُوِّرَ كتابه ، وغُيِّرَ عنوانه - إلى [في الأدب الجاهلي] - وتجاوز هذه المرحلة التي كان فيها مبهراً بعناهج الشكِّ العربية - الشكِّ المعني لا المصححي - وذهل إلى الدعوة إلى وحوب أن يمس في الدستور على أن لا يصدر فانود يحالف القرآن الكريم ! ..

لكن طه حسين - حتى في مرحلة حنوجه الفكري - وبسبب من أنه كان واحداً من أبرز ملغاة العصر ، الدين لم يُلْخِصْ فقط في العربية .. ولأنه كان أحد أساطين الإدراك لأسرار التركيب القرآني والبيان العربي .. تحدث عن القرآن الكريم باعتباره إلهاماً للبشر .. ومتميزاً عن مساهمات البشر في عالم الأساليب . فكشفت عن تفرد القرآن وغلظه على كلِّ مستويات الإبداع البشري ، يقول : لقد قلنتُ في بعض أحاديثي عن بشاعة الشر عند العرب ، إن المراد ليس شعراً ولا نثراً ، وإنما هو قرآن ، له مذاهبه وأسابله الخاصة في التعبير والتصوير والأداء .

فيه من فيود الموسيقى ما يحيل إلى أصحاب السداجة أنه شعر . وفيه من فيود القافية ما يحيل إليهم أنه سجع . وفيه من الحرية والانطلاق والفرمان ما يحيل إلى بعض أصحاب السداجة الآخرين أنه نثر .

ومن أجل هذا خدع المشركون من قريش ، فقالوا : إنه شعر ، وكذبوا به ذلك تكذبا شديداً .. ومن أجل هذا خدع كذلك بعض المتحيزين لتاريخ البشر ، فعلموا أنه أول البشر العربي ، وتكذيبهم الحقائق الواقعة تكديبا شديداً ، فلو قد حاول بعض الكتاب الماثورين - وقد حاول بعضهم ذلك - أن يأتوا بحلله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يصحك ويبرر السحرية !! .

نعم . نكتب طه حسين ذلك . وشهد بهذا منذ أربعينات القرن العشرين .

مسئلة واحفاده

وإذا كان الحق من أصحاب أساطين الشرك في الجاهلية ، قد شهدوا للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون من كلام الإنس ولا من كلام الجن ومع ذلك منعهم العصية لما وجدوا عليه آباءهم من الإيمان بما جاء به القرآن ، ومن التحول عن الجاهلية إلى الإسلام .. فإن الجاهلية التي نزل القرآن على أهلها قد شهدت ردود يغفل أخرى .. لكنهم جميعاً قد وقعوا أمامه عاجزين عن الإتيان بشيء من مثله .

عالمين قالوا : إنه سحر . وأن الذي جاء به ساحر . قد سلموا بأنه فوق ما يستطيعون !! . وكذلك الذين قالوا : إنه أساطير الأولين .. سلموا بأنهم لا يستطيعون محاكاته ، لأنهم ليسوا هؤلاء الأولين !! .. ومثلهم الذين قالوا : إنما نقلته نثر أحسي ، لا يستطيعون محاكاته والإتيان بمثله ، !! .. جميعاً سلموا بحجهم عن محارقة القرآن الكريم ، متعافين مسبب العجز هذا على

مختلف الأسباب ! .. اللهم إلا واحدًا من هؤلاء ، دَفَقَهُ العصفية لقبيله -
 « حشفة » - ضد مُضَر وفَرِيش ، إلى أن يحاول تقليد القرآن ، فعاءت
 محاولته بموذاخا حالداً من نباح السحرة والنهرل والإعصحاك .. وملكهم
 هو مسيلة الكذاب [١٢ هـ - ٦٣٣ م] الذي قال لأتباعه : « إن رحماناً »
 ينزل عليه .. وإن له - هو الآخر كتاباً ، جاء فيه : « إنا أعطيك الجواهر ،
 فصل لربك وجاهر .. وأتيلي وما أدراك ما الغيل ، له حرطوه طويل ..
 ضمدع بنت صقدعين ، يغني ما تنقي أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ،
 لا الشارب تسمعن ، ولا الماء تكدرين . والنليل الأطلحم ، والذئب الأذلم ،
 والجرع الأولم . ما انتهكت أسيد من محرم .. ألم تر كيف فقل زئلم
 بالخنلي ، أخرج منها سمة شعي ، من بين صفاق وحشي » ١١ .



ولقد طلّت عبارات مسيلة الكذاب هذه نير السحرة ، على امتداد
 أربعة عشر قرناً . حتى جاء أحفاده ليصنعوا شيئاً من مثل ذلك ويصعوه
 على شكة : الإنترنت : قائل : إنه قرآن جديد ١١ .
 « في الموقف العربي من القرآن ، تنوعت الاتجاهات التي نصبت
 للقرآن الكريم ..

« موجوداً تيار العداة المبح والصريح للقرآن الكريم ..
 - ومن نباح هذا التيار : مارتن فوثر [١٤٨٣ - ١٥٤٦ م] الهدي
 قال عن القرآن الكريم : « أي كتاب يعيص وقطيع وملعون هذا القرآن ..

ملئ بالأكاذيب والحرافات والفضائح .. وإن إرغاج محمد ، والإصرار بالمسلمين ، بحب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه !! .

فهو يحاف القرآن .. ويشكك . ويترجمه على النحو الذي يحقق هذا الساب .

- وفي هذا الاتجاه سار الشاعر الألماني « حوته » [١٧٤٩ - ١٨٣٢ م]
.. الذي وصف القرآن الكريم بأنه « الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي ، فتثير استغزانا دائما كلما شرعنا في قراءته !! »

ولعل في حبه هذا الشاعر بالعربية ما جعله عاجلاً بأسرار انجبال والحلال الفودعة في القرآن .. والتي رأها أهل البلاغة العربية حتى مع كثرهم - محزوناً يستحيل على المحاربة والمحاكاة والتقليد .

وحسب الرجل ، الذي جعل من رسول الله ﷺ إمام العطاء -
« توماس كارل » [١٧٩٥ - ١٨٨١ م] راء - لجهته ناعة القرآن وأسرار بلاغته والإبداع الإلهي فيه يقول : « إن محمداً شيء .. والقرآن شيء آخر .. فالقرآن هو خليط طويل ومبيل ومشوش .. حاف .. وعيظ .. باحتصار ، هو جاء لا ليحتمل . »

- وهناك « الحداثيون » من العرب والمغربيين - الذين أدرکوا عشية الهجوم الفح والعصريح على القرآن الكريم .. وكيف أن هذا يزيد المسلمين اسماً كما به واعتماداً بحمله .. فذهبوا مذهب التأويل العشي ، الذي يفرغ القرآن من حقائق محتواه ، ويحوّله إلى رموز لا حقيقة فيها . وإلى تاريخ لا

صلاحية له هي المحاصر والمستقبل .

ومن أحدث محطات هذا المسح في التعامل مع النص القرآني ، التقرير الذي أعدته « مؤسسة راند » الأمريكية ، التي تشير على صانع القرار الأمريكي - سنة ٢٠٠٤ م - والذي نُشر تحت عنوان [رحلة أمريكية لإعادة بناء الدين الإسلامي] - وفيه تقسيم لتيارات الفكر في العالم الإسلامي إلى أربع تيارات :

١ - الأصوليون : الذين يرفضون قيم الثقافة الغربية المعاصرة .
٢ - والتقليديون : الذين يريدون محققاً محافظاً ، وهم في رية من الحداثة والتعبير .

٣ - والعلمانيون : الذين يريدون أن يُقتل العالم الإسلامي العنصر بين الدين والدولة |

٤ - والجدائيون : الذين يريدون العالم الإسلامي حرقاً من الحداثة العربية .. ويريدون تحديث الإسلام ليواكب العصر ، ثم تصح هذه الحطة صانع القرار الأمريكي بدعم الجدائين ، لأنهم « الأكثر إحلاصاً في نسي قيم وروح المحتض العربي الحديث . وهم - مع العلمانيين - الأقرب إلى العرب في صوة القيم والمبادئ .. ومن بين مبادئ الدعم الأمريكي المفترض لهذه الجدائين - فيما يتعلق بالقرآن الكريم - « تشجيع تأويلهم للنص القرآني - الحزبي - الذي يحضره تاريخاً وأسطورة » .

لقد شفق لرئيس الوزراء الإنجليزي « هلاستون » [١٨٠٩ - ١٨٩٨ م] أن قال - « إننا لن نستصح جريمة المسلمين طالما ظلوا متمسكين بهذا

القرآن + ١ .

ولذلك ، تعددت وتعدد مطاهر العداء العربي - والمتعرب - للقرآن الكريم . وتتراوح بين الهجوم الفع .. وبين ألوان التأويل العنفي التي تُقرَّح القرآن من حقائقه الحائلة .. وبين محاولات التشكيك في الحفظ الإنهبي لهذا القرآن الكريم .. لأن مقاصد الهيمنة الاستعمارية العربية هي بهب الشرق ، والسيطرة على مقدراته .. ولأن الإسلام كان ولا يزال هو الدرج والطاقة المخزّنة للأمة الإسلامية للمجاهد ضد هذه الهيمنة العربية ، كان عداء مؤسسات الهيمنة الغربية - السياسية والدينية والإعلامية - للإسلام ثائفاً من الثلاث على امتداد تاريخ هذه الهيمنة وهذا الاستعمار .. ولأن القرآن هو ديان الإسلام وحماس رسالته ، والصائط المحفوظ والحائط للعكر الإسلامي والمحدد لحيوته وحياته ، كان يصيب القرآن كثيراً من هذا العداء ..

وفي العقود الأولى من القرن العشرين ، غطت ملوى احتلال العرب للأغلبية الساحقة من ديار الإسلام ، وراذ تر كبر الآلة المكرية العربية ضد رابضة الجامعة الإسلامية ، كي لا تتوحد الأمة الإسلامية ، فنهض لتحرير ديارها .. ومن ثمّ تحدت وتصادعت حملات الاستتراق العربي ضد القرآن ، لأنه مصدر الجامعة الإسلامية ، وإمام المسلمين في المقاومة والجهاد .

ومن بين الحملات الاستشراقية التي شُنّت على القرآن الكريم - في تلك الحقبة - تلك التي تولّى قاداتها عدد من المستشرقين اليهود ، الذين أرادوا

التشكيك في وحدة النص القرآني ، والزعم بأن المصحف الذي بين يدي المسلمين - مصحف عثمان - قد حالف في بعض الحروف والآيات والصور المصاحف التي كانت بأبدي بعض الصحابة ، مثل خنث عثمان الأمة ، على هذا المصحف الواحد .. لكن هذه المحاولة ، التي استعتمدت جهود وأعمار عدد من هؤلاء المستشرقين ، قد انهارت على رؤوسهم . حتى لقد اعترفت دائرة المعارف الإسلامية - التي كتبها هؤلاء المستشرقون - بهذا الفشل والانهيار .

فقول عن المصير الذي انتهت إليه جهود المستشرق اليهودي « مرحشتراسر » - الذي تخصص وتبحر في « الفراءات الشاذة ومن بعده المستشرق الأسترالي « جيري آرثر » انتهت - عبارة دائرة المعارف - إلى أنه في الثلاثينات من القرن العشرين كان المستشرقون قد جمعوا بالفعل هذه الاختلافات وخلطوها ، وانتهوا إلى أنه لا قيمة لها . فانهارت الثقة بها .. وهوت محاولة المستشرقين إصدار نسخة حرة من القرآن غير نسخة عثمان ..

لقد ظهر أن هذه المحاولة عرجاء .. بل إن المستشرق « هيشير » [١٨٦٥ - ١٩٤٤] انتهى إلى أن معظم الاختلافات المنسوبة لمصحف عثمان قبل مصحف عثمان ما هي اختلافات موضوعية مكثرة .. ويؤيد إلى هذه الحقيقة أيضا - الباحث « بيرتون » في كتابه عن خنث القرآن - والباحث « ونسبرو » - في كتابه دراسات قرآنية ، فقالوا : إن كل - وليس بعض - الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف الصحابة وغيرها

موصوعة .. والحقيقة هي أن محمدًا كان قد خضع القرآن بالعمل أثناء حياته ، وأن القرآن على عهده كان مصاغًا بشكله النهائي . وهكذا سقطت الجهود الهائلة التي استغرقت عقودًا متطاولة من أعمال المستشرقين اليهود ، للعلم في وحدة النص القرآني . ويقولوا إن ما حدث للنصوص الدينية الأخرى لم يسلم منه القرآن . انهارت كل هذه الجهود . واعترف بانهارها ذات المستشرقين الذين كتبوا دائرة المعارف الإسلامية - في المادة التي كتبوها عن « القرآن » . وغير هذه الجهود العاشلة التي أصابت أعمال أصحابها ، ثم انهارت مع هلاك هذه الأعمار . كانت هناك حملة عربية أخرى حاول أصحابها - المستشرقون - إثبات أن القرآن ليس سوى مرطقات واستعارات من اليهودية والنصرانية .

وشح شاح من أهل

لكن المستشرق الإنجليزى الحجة « متحمري وات » الذي بدل من عمره ثلث قرن في دراسة الإسلام ، تخرج هذه السموات بكتابه [الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر] وقال فيه عن هذه الحملة : « لقد شهدت بدايات القرن العشرين صرعة (مودة) تقديم القرآن للقارئ الأوربي باعتباره محتارات من أفكار اليهودية والمسيحية ، بالإضافة لتقليل من الزادات المحددة . ومعنى هذا انتفاء المجد والأصالة . والواقع أن هذه النظرة بُعِدَتْ بقوة من بقايا الدعاية المسيحية التي سادت فترة الحروب

الصلبية ، عندما كان على أوروبا العربية - التي كانت ترتعد فرائصها من حيوش الإسلام - أن تقوى دفاعاتها برسم صورة رائفة عن الإسلام .. إن القرآن لم يكن مجرد ترديد لأفكار يهودية ومسيحية . فلقد أكد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقل عن اليهودية والمسيحية .. وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم في حالة نفاذه الأولى .

وهكذا انتهت جهود هذه الحملة الاستشراقية - هي الأخرى - إلى السقوط والزوال . في مواجهة الهجمة ، بل للهجمات العربية على الإسلام ، وبالذات على القرآن الكريم ، تصدّى المستشرق الحجة « متحجري وات » - الذي فزس الإسلام على امتداد ثلث قرون ، وأبرز دراساته العليا - الماجستير والدكتوراه - هي المعكر والمفسدة الإسلامية - تصدّى لنهاة الهجمات الطاعنة - وخاصة في كتابه [الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر] - الذي نُقِصَ سنة ١٩٦٩ م ..

نكتب من القرآن الكريم ، يقول :

« إن الرّسول الإسلاميّ لاند من تناولة محدية .. إن القرآن صادر عن الله ، وبالتالي فهو وحى ، وليس كلام محمد بأي حال من الأحوال ، ولا هو نتاج تفكيره ، وإنما هو كلام الله وحده ، فتصدّى به محاضرة محمد ومعاصره ، ومن هنا فإن محمدًا ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولاً ، ثم لكل العرب ، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين .

وهناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه لفحس الشرقي فاطمة ، وقد

تؤكد ذلك عمليًا بانتشار الإسلام في العالم كله ، وفناء بشر من كل
الأحاسيس نعيمًا . إن القرآن يتخفلى بقول واسع بصرفه الطر عن لحنه ،
لأنه يتناول القضايا الإنسانية .

إما من صدق محمد وإخلاصه عندما يقول : إن كلمات القرآن
ليست نتيجة أي تفكير راجع منه .. إن القرآن لا يدعي النظر إليه باعتباره
نتاج عبقرية بشرية .. وإن التحرر الشوبه مع الوحي يمكن إحار ملامحها
الرئيسية فيما يلي :

١ - محمد ينمى ، وهو في حالة وعي ، أن هناك كلمات يعينها تلقى
في روعة ، أو تحضر في فسه أو عظه الراعي .

٢ - وأن هذه الكلمات والأفكار لم تكن أبدًا نتيجة أي تفكير راجع من
جانبه .

٣ - أنه يعتقد أن هذه الكلمات التي أُلقيت في روعه من قبل
« مدوب » أو « مبعوث » خارجي يتحدث إليه تملك .

٤ - أنه يعتقد أن هذه الرسالة قادمة من الله تعالى .

وعندما تحدث محمد أعدائه بأن يأثروا مسواة من مثل السور التي
أوحى إليه ، كان من المعتاد أن أهم لن يستطيعوا مواجبة التحدي ، لأن
السور التي تلاها محمد هي من عند الله ، وما كان ليشر أن يتحدث الله ،
وليس من شك في أنه ليس من قبيل الصدفة أن كلمة (آية) تعني
علامة على القدرة وتعني أيضًا مقرة من الوحي .

وعندما نُقِيت كتابة هذا الوحي شكّل النص القرآني الذي بين أيدينا ..

وفي الحديث عن ختم القرآن ، نجد أن كلمة (ختم) قد استخدمت في آيات قرآنية مهمة . ﴿ لَا تَحْزَنْ يَدُكَ يَدَاكَ يَخْتَبِرُونَ » [١٦٠] ﴿ وَإِذَا قُرْآنُكَ نَزَّلْنَا فَتَعْلَمْهُ فَتَقْتُلْهُ فَيُجْزَىٰ » [١٦١] ﴿ وَإِذَا قُرْآنُكَ نَزَّلْنَا فَتَعْلَمْهُ فَتَقْتُلْهُ فَيُجْزَىٰ » [١٦٢] ومن الممكن أن يكون التفسير العسبي لهذه الآيات : أن محمداً ما دام يتبع تلاوة من يتلو عليه (حبريل) فإن الله تكمل بجميع الآيات المتفرقة ، أو التي أوحى بها في أوقات مختلفة ، ليجمعها في سياق واحد .

وإذا لم يكن محمد هو الذي رُثب القرآن بناء على وحي نزل عليه ، فمن الصعب أن تصور أن ريد بن ثابت [١١ ق هـ - ٤٥ هـ / ٦٠٠ م - ٦٦٥ م] أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل ، ومن هنا فإن كثيراً من السور قد أصبحت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد عنه .

إن القرآن كان يُتخَّل فور نزوله . ولقد ثبوا القرآن دائماً - في حياة المجتمع الإسلامي - مكان المركز ، أو القطب ، أو المحور ، وصيغ تسيح الحياة الإسلامية ، والنظرة العقلية للعالم والكون .

نلتك شهادة المستشرق الإنجليزي الحجة « متحمري رات » للقرآن . باعتباره « وحياً إلهياً مباشراً وصادقاً إلى رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ » . ولصدق هذا الوحي الإلهي .. وصدق الرسول الذي نزل عليه الوحي .. ولمكانة القرآن الكريم - دائماً وأبداً - في المجتمعات الإسلامية .. فهو المركز .. والقطب .. والمحور .. وصاح سحر الحياة الإسلامية وفلسفة النظرة الإسلامية للعالم والكون .. ولأنه كذلك ، ولقد تفرَّضَ تنهيج المجاهدين .. ولكنه حفي بالنصاف العلماء ! .

شهادة شيخ الامانة

للمرحوم الشيخ أمين الحولي [١٣١٣ - ١٣٨٥ هـ / ١٨٩٥ - ١٩٦٦ م] وهو شيخ الأمناء - الذي تعلمت على يديه أحيال من كبار الأساتذة . والذي يحظى بالاحترام والتقدير لدى كثير من العلماء - لأمين الحولي كتيب صغير [عن القرآن الكريم] - كتبه في الأصل تعليقاً على مادة « القرآن » في دائرة المعارف الإسلامية - التي كتبها المبشرون - ولقد أعدت نشر هذا الكتيب ، وقدمت له في سلسلة « في التوير الإسلامي » .

ولأن بعضاً من أحفاد « سلسلة الكذاب » - بل وبعضاً من الذين يتمسحون في أمين الحولي - يهفون بما لا يعرفون حول القرآن الكريم ، فإن من المفيد أن يصح أماء اسهم - إن كانوا يهفون - ما كتبه هذا الشيخ الجليل عن القرآن ..

« لقد تخدمت أمين الحولي عن مقاصد الترتيب للقرآن ، « فلسفة هذا الترتيب ، فقال : « إنه ترتيب متفرق ، يعني أن يُقدَّر ما فيه من العبد إلى أن يكون - أولاً ، وقبل كل شيء ، ومع كل شيء .. كتاب هداية بحسبة حلقية اجتماعية ، تتناسب مع عموم الدعوة الإسلامية ، وتوجيهها إلى الإنسانية جمعاء ، في كل زمان ومكان . وتتناسب مع دوام الدعوة الإسلامية ، واستمرارها إلى آخر الدهر ، وعلى مدى الزمن ، مادامت على هذه الأرض حياة ، كما تتناسب كذلك مع ختم هذه الدعوة لرسالات

السماء إلى الأرض ، واستطاعة الدنيا أن تكفي بها ، وتلقي عبدا .
فالفرآن بمن دائما الأصول الكبرى ، والأسس العامة ، والقواعد الكلية ،
في إطار من الشعور الديني الحزمن ، والمضيلة الحلقية المضيحة لنور
البشر ، الحقيقة لهم أن يكونوا - في نشاطهم العملي وجهادهم الحيوي -
أمامنا أعياننا ، أطيافنا ، أروافنا ، غير متكالبين ولا متناحرين ، ولا متناغضين ،
وإذا ما مضى الفرآن شفا من التعصبات تطلتها واقع الحياة فليكون كذلك
مثلا عامية ، يرجع إليها الناس فيما أمرهم به من التبصر والاعتبار ، بمثل قوله :
﴿ فَاتَّخِذُوا بِنَافِلِي الْأَتَمَتَاتِ ﴾ [الحشر : ٢] وبذلك يصور - على نمط
أحوالهم ، وتطور شؤونهم ، واحتلاف لغاتهم ، وتنوع مشكلاتهم - وهم
دائما أولئك المراقبون لرهبهم ، المحكمون ، لضمائرهم ، المقتدرون
لعبئولياتهم .. يُذكرون من أمورهم المتحددة ما يصلح به حياتهم . في
خلل تلك الصبية من فلوب وحلة ، ونعوس مطمئنة ، لا تنسى نصيبها من
الدنيا ، وتذكر مع ذلك اليوم الآخر ، والحساب المرتقب .

ومن هذا الترتيب ، الذي تورعت في حصر أجزائه وأياته مواضع العبرة
الهامية ، نجد الهداية العرجوة ، في كل قطعة من ، وكل بيان ، وكل قصة ،
وكل موعظة .. .

« كذلك تختب هذا الشيخ الحليل العلامة ، عن قسوس الفرآن - لحظة
نزوله - وعن شفعه - فقال : « لقد كانت المرسل بخط عابدة بستر
الكثافة في مجتمعه .. وكان له كثرة وحي يكتبون بين يديه الفرآن ،
ويكتبون رسائله ، وقد بلغ عددهم إلى مئة وعشرين شخصا . ورأى

عليه السلام لبعضهم أن يتعلموا من اللغات غير لعنهم العربية .. وكذلك
 كتب القرآن أولاً مأول ، مع حفظ ما ينزل منه كذلك أولاً مأول .
 إن القرآن حينما نزل نزل مفزقا ، كان يحفظه نزل من أصحاب الرسول ،
 منهم من حفظه كله بأجمعه ، ومنهم من حفظ ما تيسر منه ، وكان عد
 كتب الكتابة التي شككت فيها الظروف .. وهذا ما يمكن أن نسميه
 الجمع الأول للقرآن ، إذ اجتمع به في صدور حفاظ أفرد الحافظة ..
 واجتمع في مكتوبات ، وإن لم تأخذ صورة الصحف أو الكتاب كما
 نفهمها اليوم ، لتفرق المواد التي كانت عليها الكتابة ، واختلاف
 أنواعها .. »

هكذا تحدث الشيخ أمين الخولي - شيخ الأسماء - ورحم الأرحم
 ومدرسة القضاء الشرعي .. وأستاذ الجامعة .. وعصو مجمع اللغة العربية
 .. وأحد شيوخ التحقيق للتراث . والمؤلف المتميز .. وأحد عقول
 العصر وبلغته هكذا تحدث عن المتاحد الإلهية لترتيب آيات القرآن
 الكريم .. وعن التدوين والحفظ لهذا القرآن . على يدي رسول الله ﷺ
 وكيف أبحر الرسول وصحابته وعذ الله سبحانه : ﴿ إِنَّ عِثْرًا جَمَعَهُمُ
 وَقُرْآنَهُ ﴾ .

لقد قضى المرحوم الشيخ أمين الخولي [١٣١٣ - ١٣٨٥ هـ /
 ١٨٩٥ - ١٩٦٦ م] في حديثه عن القرآن الكريم ، فعرض لعدد من
 القضايا .. ولعدد من الشبهات التي بشرها حصوم هذا القرآن ..
 « غرض من الحديث عن الجمع الذي قام به الصحابة - على عهد أبي بكر

الصديق - والذي كان - في الحقيقة - حفيفاً للمصاحف التي نُكِّتَ فيها القرآن على عهد الرسول ﷺ فقال شيخنا : « إن هذا الجمع الذي نُكِّتَ في عهد أبي بكر كان الجمع الذي يحقق المعنى المادي للجمع والخبر - [فكأنه جمع الملازم في كتاب] .. والحال الذي نُكِّتَ فيها وبها هذا الجمع يُهَيِّئُ من الألفاظ إلى المجموع ما لا يكاد يتوافر مثله على التزج لما حفظت البشرية من نصوص وأصول .. » .

« وبعد هذا القطع - من هذا العالم المحقق - بأن القرآن قد حظي في التدوين والجمع - بما لم يحط به نض من النصوص على امتداد تاريخ البشرية فاطمة .. غرض لما يثار حول هذا التدوين والجمع لقرآن من شبهات .. فقال : « أما الأخبار التي تلقى طلالاً على عهد الحفائي ، وإساً لا يشعر بحاجة إلى الوقوف عند شيء منها ، أمير مسلم واحد نصي بالانصراف عن ذلك :

بهي أخبار آحاد لا يسهل فحص أسانيدها . وهي . مع ذلك ، عريضة للتأثر بأهواء ذوي الهوى من أصحاب العصية الدينية . والخصومة الاعتقادية في كل حين - زوَّجها في القديم من زوَّجها من هؤلاء . وبشر الغبار بها أشباه لهم في هذا العصر ، من ذوي الأغراض السياسية والاعتقادية المسحورين ذلك .. وهي ، مع كل ، لا تنس القرآن من بعيد أو قريب لو تمكَّل الواقفون عندها الظروف والملازمات التي جمع فيها القرآن هذا الجمع الثاني زمن أبي بكر ، فحال الناس إذ ذاك ، ومدى معرفتهم للقرآن ، وحال من قام بهذا الجمع ، وفقرته عليه ، وقدر ترقاة

العامة على ما ينتج من عمل في ذلك ، والطاقة الإنسانية الممكنة في مثل هذا الجمع ، وما تهيأ فيها للبشرية كل حين في حفظ مثل تلك المصوص الدينية أو العنوية ، وما ينصل بكل ذلك من معان واعتبارات كبرى - تعطي ضمانات لمثل هذا العمل يكون الوقوف بعدها عبد مثل الأحبار المتنافلة عن طريقة الجمع ، وأحواله ، مما يدر عثا لا طائل تحته .

وما أرى إلا أن تمثل حال المسلمين عند هذا الجمع سنة ١٦ هـ ، وحال القرآن فيهم . أولى للمعتقد والباحث حقيقا من الوقوف عند مشورات أبحار آحاد أكثرها معلقة لا سند لها ، وهي حلقة باضطرابها أن تحمي الصورة الصحيحة المشرفة ، للحياة والماس ، والظروف التي شجع فيها القرآن خلق أبي بكر الثاني ، بعد خلق الرسول الأول صلى الله عليه وسلم .

وبعد تدبير هذه الشبهات - التي هي « غيبٌ لا طائل تحتها » - تحقق الشيخ الحولي قضية تشجع عثمان بن عفان الأمة على مصحف واحد ، وقضية الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، فقال : « إن الأحرف السبعة ليسب هي القراءات السبع ، وإما هي لهجات محتضنة في اللغة العربية . وجدت في القرآن حملة ، لا أنها كانت سبع لهجات في كل آية وكل موضع من القرآن ، ولقد كانت ضرورة حيوية اقتضاها الواقع اللغوي للعربية . وهذه الضرورة قد ارتفعت الحاجة إليها حتى تغير حال المجمع الإسلامي ، عندما انصبت الأمر ، وتبدلت الألسن ، وتكثرت الناس والكُتُبات .. وعندما ارتفعت هذه الحاجة إلى الأحرف المتحطلة تخفق عثمان المصحف الإمام » . فكانوا مصحفه حرفاً واحداً .. لقد غدا الناس -

بعد حبل تميرت فيه الحياة تغيرًا جوهريًا كبيرًا - لا ضرورة تقضي عليهم باستعمال حروفهم ، لئلا يحتلفوا ، فقد صاروا بحيث يستطيعون الاتفاق . وهذا الذي صنعه عثمان ، إذا ما شئنا خشقًا ، فإنه لحدير بأن يسمى خضع المسلمين ، لا جمع القرآن .. فإن خضع القرآن قد كان في عهد الرسول - بمعنى ضئله أجزائه .. وفي عهد أبي بكر بما حفظ أصلًا رسميًا يكون مرجعًا ، وعُثْل عثمان هو تهيئة هذا الأصل الرسمي للتداول العملي على حال ثلاثين الدعوة الإسلامية التي امتدت وتمتد .. .

هكذا تكلم أمين الحولاني - شيخ الأمام - فهل يتأمل ما قاله هؤلاء المحترفون من ذوي الأقراص السياسية والاقتصادية الذين يتعلّقون بالعت الذي لا طائل تحته ؟ ! .. أم أن أمراض القلوب قد أعيت حكماء الأمام ؟ ! .



الشيعية والقرآن

لم يترك الزنادقة باباً من أبواب الطعن في القرآن الكريم والافتراء عليه إلا واقتحموه ! .. ومن هذه الأبواب ما جاء في بعض كتُب الإخباريين - أي الذين يُتْلَفُون الروايات ويُثَبِّتُونها ، دونما نقد أو مقارنة أو تصحيح .. ما وُزِدَ في بعض كتُب هؤلاء الإخباريين من الشبه ، من روايات تقول : إن علي من أبي طالب - كرم الله وجهه - مصحفاً أكبر من هذا المصحف الذي بين يدي المسلمين اليوم . وأن لعاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام - هي الأخرى مصحفاً مخالفاً !! ..

نعم .. لقد اضمحمت الزنادقة هذه الأبواب .. وركزوا على أن أحد هؤلاء المؤلفين من الشيعة - الإخباريين - وهو «الميرزا حسين الموري» قد ألَّف كتاباً عنوانه [فصل الخطأ في تحريف كتاب رب الأرباب] !! .. لكن المراقبة لا يذكرون أن بعض عقلاء الشيعة الإمامية قد نقدوا وأنقضوا وقَدَّروا كل الكتابات والروايات التي جاءت في تراث هؤلاء الإخباريين من علمائهم .. ذلك عندما أصدر أحد علماء الشيعة - رسول جعفریان - كتاباً عنوانه [أكدوية تحريف القرآن بين الشيعة والسنة] ضبع بههران - سنة ١٤٠٦ هـ سنة ١٩٨٥ م - وقَدَّمَ له الناشر - وهو الدولة - معاوية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي - مقدمة جاء فيها : «إنه

ليس هناك مسلم واعٍ موضوعي يؤمن بهذه الأكاذوبة [أكاذيبية التحريف] أو يُؤثِّبُ أي أثر عليها ، وهذا ما يبدو لنا من استقراء أقوال العلماء واستدلالاتهم القوية على زُور هذه الشبهة . وهذا الكتاب بعد محاولة جيدة لتأكيد هذه الحقيقة ، بالإضافة إلى أنه يدفع الكثير من الشبهات التي حاولت إصباغ القول بالتحريف للقرآن بمذهب أهل البيت . وهو يرى من هذه التهمة تعاملاً ، نعم يوجد في التاريخ أناس غرَّتهم الظواهر وابتلوا ببعض الاستدلالات عبر المسطوقية فراحوا يُشكِّكون في المسألة ، إلا أن ضعف استدلالهم ومخالفتهم للضرورة الإسلامية القائمة طُوِّتْ أذكاءهم فلم يقدِّروا أي ذكر ، وبني النص القرآني ناصغاً فوقاً ، فطعنوا السند ، حالاً معاً عن خلود الإسلام العظيم .

وبعد هذا التحذير لهذا الكتاب ، عرضت فصول الكتاب - الذي ألفه « الشيخ رسول جعفریان » - لما ذكره « الميرزا حسين النوري » في كتابه [فصل الحفاظ في تحريف كتاب رب الأرباب] .. فرأينا شهادة تلميذ النوري « الشيخ آقايزك الطهراني » على تراجع أستاذة النوري « عن هذه الدعوى » وقوله : « حسماً شاهانه وسمعیاً من لسانه ، فإنه كان يقول . أخطأت في تسمية الكتاب ، وكان الأحقر أن يُسمى [فصل في عدم تحريف الكتاب] لأني أنست به أن كتاب الإسلام - القرآن الشريف - المرحود بين الدفين . المستتر في أقطار العالم ، وحي إلي ، جميع سورة وآياته وحمله ، لم يطرأ عليه تغيير أو تبدل ولا زيادة ولا نقصان من لدن بحضرة حتى اليوم ، ولقد وصل إلينا المصحف الأول بالتواتر القضي » .

وأصناف الظهري - في شهادته على أستاذ - : هذا ما سمعناه من قول شيخنا رحمه الله ، أما عمله ، فقد رأيناه وهو لا يقيم لما وزد في مصابين الأحبار ورثنا ، بل يراها أحادًا لا تقتل بها القرآنية ، بل يصير بحصوصيلها عرض الحدار . وهكذا انهارت أهم حجة من حجج الزنادقة على حدوث التحريف في نص القرآن الكريم .

ولقد غرض هذا الكتاب - أبطًا - في معرض النقد والتفنيس للروايات التي جاءت في كُتُب الإخباريين الشيعة عن تحريف القرآن - لما جاء في كتاب [الكافي] للكليني - وهو من أهم مراجع الشيعة في الأحاديث - فقال : إن الشيعة لا يعضدون بصحة جميع مروياتهم ، ولذا ذكروا أستاذ الأحاديث لكي يطر الشذوق ويتحقق من صحة الحديث أو ضعفه ، وهذا نسحب على كتاب الكافي وغيره من كُتُب الشيعة .. ونحسب لا نقول بصحة كل الروايات التي نقلها الكليني .. فعنه الضعيف والمرسل وما لا يوافق القرآن .. فليس الكافي كالتخاري ومسلم عند أهل السنة .. وإن أحاديث الكافي - التي بلغت ١٦١٩٩ حديثًا - الصحيح منها ٥٧٢ ، حديثًا - أي أقل من الثلث - والضعف ١٠٤٤ حديثًا ، والشذوق ١١٢٨ حديثًا ، والقوي ٣٠٢ حديثًا ، والضعف ٩٤٨٠ حديثًا .. أي ثلثي أحاديث هذا الكتاب .. الذي وردت فيه روايات من تحريف القرآن الكريم .

وهكذا انهار العمود الثاني من الأعمدة التي اعتمد عليها الزنادقة في التشكيك بحفظ القرآن الكريم عن التحريف .

في كتاب [أكتفوه تحريف القرآن بين الشيعة والسنة] الذي ألقاه

الشيخ رسول جعفریان - وطعته الحكومة الإيرانية بظهران سنة ١٤٠٦ هـ
سنة ١٩٨٥ م .. والذي جاء فيه النقص والتعبد للروايات التي جاء
بكتب التراث الشيعي ، والتي رغم أصحابها وروؤ تحريف بالنقص
القرآني . في هذا الكتاب :

١ - تعبد لوجود ما شئني بمصحف علي - كرم الله وجهه - وأنه قد
خيف هذا المصحف في ثلاثة أيام . «القرآن كان قد كُتب في عهد النبي
ﷺ وما جمعه علي في ثلاثة أيام هو شيخ ضحفه المكتوبة « ولا فلا
يمكن أن نقول : إنه قد كُتب القرآن في ثلاثة أيام » .

٢ - وفي هذا الكتاب نص على أن الإمام علي - كرم الله وجهه - قد
أخذ شيخ عثمان بن عفان الأمة على هذا المصحف الموحد .. وقال : لو
وُلِّيتُ لَمَغَلْتُ مثلَ الذي نَعَى » .. وأنه قد أخزف مُضخفه ، معك اجتماع
الأمة على المصحف الإمام - مصحف عثمان » .

٣ - أما ما شئني بـ [مصحف فاطمة] فإن هذا الكتاب يعني أنه يكون
مصحفًا أو قرآنًا .. وربما كان كتابًا فيه بعض ما تغلثه فاطمة من أبيها ..
وبص ما جاء عن هذا « المصحف » - الذي لا وجود له - هو : لقد وُزِّدَ
في روايات كثيرة في كُتُب مصحف فاطمة ، وُضُوح في بعضها أن في هذا
المصحف علم ما يكون ، وليس فيه ذكر حلال ولا حرام . كما صرح
روايات أخرى بأن فيه وصة فاطمة الزهراء - عليها السلام - ..

وعلى هذا يمكن أن تكون فيه حض المعارف التي تعلمتها من أبيها
طيلة حياتها ، وتُضرح بعض الروايات أيضًا بأن مصحف فاطمة ليس فيه

قرآن ، ولم يكن مُضْحَكًا مرآيًا .. فهو - إذاً كتاب لا علاقة له بالقرآن من قريب أو بعيد .. بل ولا علاقة له بالحلال والحرام ..

٤. وفي هذا الكتاب شهادات كبار علماء الشيعة ، التي تنفي وقوع أي تحريف في القرآن الكريم ، والتي تؤكد على الحفظ الإلهي لهذا القرآن .
« فالعلامة الطباطبائي يقول : « إنه ذكر حي خالده مصون من أن يموت

ويسى من أصله ، مصون من الزيادة عليه بما يبطل كونه ذكرًا ، مصون من النقص كذلك ، مصون من التعبير في صورته ومبائه بحيث تعبر به جملة كونه ذكرًا ميتًا لحقائق معارفه ، فالآية : ﴿ إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ الْبَاقِرُ وَإِنَّا لَمُحْكِمُونَ ﴾ [الحجر : ٩] تدل على كون كتاب الله محفوظًا من التحريف بجميع أقسامه .. فالقرآن محفوظ بعدد إنزاله إلى الأبد » .

« والسيد الخوئي ، يقول في تفسير الآيات : « إنها تدل على جفوت القرآن من التحريف ، وأن الأيدي الحائرة لن تتمكن من التلاعب فيه » .

« والفيض الكاشاني يقول : ﴿ وَإِنَّا لَمُحْكِمُونَ ﴾ من التحريف والتعبير والزيادة والنقصان .

« والشَّيخ أبو علي الطبرسي ، يقول في تفسير هذه الآية : ﴿ وَإِنَّا لَمُحْكِمُونَ ﴾ من الزيادة والنقصان والتحريف والتعبير .

وعن الحسن : معناه : متكامل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه بثقله الأمانة وتحفظه عصرًا بعد عصر إلى يوم القيامة ، لقيام الحجة به على الجماعة من كل من أزمته دعوة النبي ﷺ .

والسيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي - المتوفى سنة

٤٣٦ هـ - يقول : « إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار ، والوقائع العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب المسطورة ، فإن العناية اشتدت ، والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلعه فيها ذكرناه .. لقد كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ محفوظاً مؤلفاً على ما هو عليه في ذلك الزمان ، حتى غيّر النبي ﷺ على جماعة من الصحابة يحفظهم له ، وكان يعرض على النبي ﷺ عدة حتمات ، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان محفوظاً ثباتاً غير متور ولا مشور .. ومن حالف في ذلك لا يفتد بخلافه ، لأن المحال على نقلوا أحزاباً صغيرة طمأنت أصحتها ، ولا يرجع سلطانها عن المعلوم المقطوع على صحتها . »

وهكذا توالت - هي هذا الكتاب - شهادات علماء أعلام الشيعة ومجاهديهم ، التي تُفْلِنُ الأبواب في وجه الزنادقة الذين يُشَكِّكُونَ في القرآن الكريم .

وإذا حاز للبعض أن يشكك في صدق هذه المراجعات الشيعية لما سبق وقالوه في تحريف القرآن الكريم ، انطلاقاً من عقيدتهم في « النقية » ، التي تجعل الكذب ديناً يتدينون به ١ .. فإننا لا نستطيع إلا أن نرحب بهذه المراجعات ، تاركين السرائر والبواطن والضمائر للذي تفرد بعلمها والحزاء عليها - سبحانه وتعالى - ..

كما نقول لعلماء الشيعة - وخاصة الحكماء منهم - : إن هذه المراجعات وإن مثات خطوة كبرى نرحب بها ، إلا أنها تستوجب

مراجعة ما جاء في كتبهم الأصلية المعتبرة - من مثل [الكافي] الكليني - من روايات نسوها إلى أئمتهم تتحدث عن تحريف القرآن الكريم .. ذلك أن إساءتهم العنيفة على هؤلاء الأئمة ، الذين نسوا إليهم - رورا وبهائا - مقولات تزعم تحريف القرآن الكريم ، سيظل مصبرا لعلامات استهزام حول اتساق الموقف الشيعي من هذا الموضوع .

إن مراجعة علماء الشيعة المعاصرين لما كتبه أسلافهم الإخباريون حول القرآن الكريم خطوة هامة مرحب بها ..

لكنها تظل منقوصة طالما بقيت : أحاديثهم ، التي نسوها إلى أئمتهم تتحدث عن أن تحريفا قد حدث للقرآن الكريم .. فاتساق الموقف يسوّح مراجعة كل التراث الذي وردت فيه مزاعم التحريف



هكذا رأينا كيف كان القرآن الكريم الإعجاز الإلهي ، الذي تحدّي الشر - ولا يزال يتحداهم - أن يأتوا بشيء من مثله .

وكيف وقف كل أساطين البلاغة والبيان والإسراع أمام هذا النص القرآني المعجز ، فحسنت ملكات الإسراع لديهم أمام هذا الوحي الإلهي ، الذي لا طاقة لشر أن يأتي له بمثال .

لقد استوى في ذلك جميع الحبراء .. والبلغاء .. والسدحون .. حتى الذين منغثهم العصبية الدنيوية من الإيمان برسالة القرآن الكريم - في التوحيد .. والنسوة .. والشرع .. ومنظومة القسم والأحلاق .. واليوم

الآخر ، وما فيه من حساب وحراء .. فأنفسموا : « والله ما هو من كلام
الإنس ، ولا من كلام الحي » وإنه يعلم ولا يعلم عليه ١ ..

لقد استعنى القرآن الكريم - ولا يزال - على تمزيد المعتزدين .. وعلى
مقاصد المعادين من المستشرقين .. وعلى الذين أعماههم التعصب من
أهل الفرق الذين ذهبوا يلغون الروايات الكاذبة لتأييد التعصب واحتقار
والإحراق . وكذلك استعنى القرآن الكريم على المرافقة ، الذين أرادوا
سنن عمرهم العاضح أمام الإعجاز القرآني بلعلمة حتى الروايات التي
غدل عنها روايتها ، والآراء التي استندوا أصحابها ..

ولقد تكتسفت عورات هؤلاء المرافقة عندما رأياهم يذهبون فيسبون
روايات الأحاد الراعية والساقطة والمحروجة - بل والموضوعة -
ليعاضوا بها النص المعبر .. والمتواتر .. وقضي الشك ! . ثم
ينحدون مع ذلك كله - عن العلم . والمهج العلمي الذي
يرعصون ١ .. وصدق الله العظيم : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن مَّا نَزَّلْنَا
عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ أَفْئِدِنَا
إِن كُنْتُمْ سَابِقِينَ ۚ إِن كُنتُمْ تَفْعَلُونَ وَلَٰكِن تَفْعَلُونَ لَأْتَأْتُوا بِنَارٍ ؕ وَأَنَّىٰ
يُؤْتَىٰ الْإِنسَٰنُ وَلَوْ رَٰحَتْ أَعْيُنُهُنَّ لَآفِكُم بِرُءُوسِهِمْ ۚ وَلَٰكِن لَّا تُفْقَهُنَّ
شَتَّىٰ لَغْوِ الْإِنسَٰنِ ۚ إِنَّهُ يَدْرِكُهُ أَفْئِدَةٌ مِّنْ دُونِ عَيْنٍ ۚ وَهُوَ غَافِلٌ مِّن مَّا
يَدْعَىٰ ۚ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسَٰنِ غَافِلٌ ۖ ﴾ [النجم : ٢٣ - ٢٤] .

إله الإعجاز الحاتم - والتحدّي الخالد . وحجة الله البالغة على الناس
إلى يوم الدين . إنه القرآن الكريم ﴿ ذَٰلِكَ أَلْكِتُ لَا رَيْبَ بِهِ
هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [النجم : ٢٤] .



وَمَا زَا عَلِيَّ الصَّقْفِ الْأَعْرَقِي



وإذا كان هذا هو القرآن الكريم : «الإعجاز - المُتَحَدِّي» و «الشَّحْدِي -
 المُفْجِر» - الذي حشنت أمام إعجازه ملكات الإبداع والمبدعين ،
 فهذهت له الشهادات التي صرنا عليها الأمثال .. فإن من الحق والواجب
 أن يسأل المرء - عند هذا الحد من هذه الدراسة - ماذا على الصفة
 الأخرى - صفة الكتب المقدسة لدى الآخرين ؟

وهنا سيج ذات النبح ، فمستدعي شهادة الشهود - العلماء الحبراء - من
 أهل تلك الديانات .. تهادات علماء اليهود ، الحبراء في : علم نقد
 النصوص ، على مدى مؤلفية وموضوعية وأصالة أسفار العهد القديم ..
 وشهادة الحبراء من علماء الدراسات العبرية والثرات اليهم دي عن حال تلك
 الأسفار ، ولما فيها كي تكون كلام الله .. وكذلك شهادة أوتى موسوعات
 الحضارة المسيحية العريقة [الموسوعة البريطانية] عن حال وأصالة
 ومؤلفية أباحيل العهد الجديد .. وذلك نعيم الله الحيث من الغيب .. و
 ﴿ إِنِّي هَذَا مَن هَذَا عَمَّا يَنْتَفِعُ وَيَخْتَفِى مَن حَمَلَتْ عَنْ يَمِينِهِ وَأَبْكَ اللَّهُ
 كَسْبِعَ عَلَيْهِ ﴾ [الأمل ٢٢] .

فهي كتاب ضم عددا كبيرا من الدراسات العلمية الرصيدة ، التي كتبها
 عدد من علماء اليهود وفلاسفتهم ، الذين تخصصوا في : علم نقد
 النصوص .. أعلنت هذه الدراسات أن هذا الكتاب - العهد القديم -
 قد تدخلت في كتابته وصياغته وإحراجه : أبدي بشرية ، على امتداد
 قرون - ولم يُعد حائضا لكلمات الله - بل إن أعلمه لا علاقة له بالوحي
 الذي نزل - انشودة - على موسى عليه السلام - فدرة موسى قد برلت

عليه بمصر ، وباللغة الهيروغليفية ، قبل عروسي إسرائيل لأرمس كنعان . وقبل تبلور اللغة العربية - التي هي في الأصل خليط من لهجات أرمس كنعان بأكثر من قرن من الزمان .. ولقد كتبت أسفار العهد القديم - في معظمها إبان السبي البابلي [٥٩٧ - ٥٣٨ ق م] بينما موسى عاش ومات ودفن بمصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ..

لقد خضع انعالم اليهودي « زلمان شازار » هذه الدراسات العلمية التي كتبها لجنة من العلماء والفلاسفة اليهود ، الذين برعوا في « علم نقد النصوص » . وصدرت هذه الدراسات في سفر كبير ، حمل عنوان [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] .. في هذا الكتاب نقراً - عن أسفار العهد القديم - :

« إن هذه الأسفار المقدسة هي من طلاقات مختلفة ، وعصور متباينة ، ومؤلفين مختلفين ، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن .. فلا ارتباط بينها ، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف .

إن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء .. وموسى لم يكتب التوراة كلها .. وأقول التوراة ليست إلا لغائف من أماكن وعصور مختلفة لرحال وحكام وعشائر وأسياط مختلفة .. ففيها ثماني مجموعات تعود إلى عصور مختلفة ، وهي :

١ - لغائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (في سيناء) لم تحررها من قبلي أحد أبناء أفرام .

٢ - ولغائب من تعاليم الكهنة ، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع
ابن صادق .

٣ - ولغائب أعداد الأمباط .

٤ - ولغائب باعترافات الأنبياء .

٥ - ومجموعات من روايات بيت داود .

٦ - وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم في تامل

٧ - وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبي .

٨ - وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين [أي القرن الثامن قبل

الميلاد] .

إن سفر التكوين قد أُلّف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في

فلسطين ، وبعد أن نهضت الأساطير في إثر استيطانهم برمن طويل ، وإن

مؤلف السفر لم يكن موحوداً على كل حال قبل عصر إشعيا

[أي حوالي ٧٣٤ - ٦٨٠ ق م] .

أما بالنسبة لسفري الخروج والعدد . فإيهما معالجة لأساطير وأشعار

قديمة .

وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموحودة في التوراة ، بين أشودة

موسى - الموحودة هي سفر الخروج - وحتى الإصحاح الأخير من سفر

العدد - هي ، في مجموعها ، كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية

وتاريخية ، وأحكام وقواعد الكهنة . وطبيعة الأحكام فيها تستلزم أن تقررايد

التعبيرات والأزردواحيات ، والتعديلات ، حيث إن العلاقة بين الأحداث

صعبة ، ومن الصعب علينا فهمها . وفي الأسفار كانت أقوال موسى قبلية إلى حد ما . كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر مسبب إليه . (١)

تلك شهادة علماء اليهود ، الذين مرعوا في « علم قد المصوح » ، في أسفار العهد القديم ، التي شاعت فيها أوصاف الأزدياء والأنبياء والمرسلين . تقول هذه الشهادة : إن علاقة هذه الأسفار بموسى وإمته حذًا .. وإن هذا الكتاب قد كتب على امتداد ثلاثة آلاف عام .. في عصور متباعدة ، ومن مؤلفين مختلفين .. ومن ثم عكس نفسيات وظروف مختلفة ومتباعدة . فليس كلمة الله بحال من الأحوال ! ..

وعلى هذا الثرب - درب تربية كللمات الله وروحه عن هذا الذي حوته أسفار العهد القديم مما لا يناسب ولا يليق - سار علماء العبرية والدراسات اليهودية .. فكثرت الأبحاث الدكتور فؤاد حسين علي - وهو من أبرز العلماء الخبراء في التوراة والتراث العبري - يقول : « إن العبرية التي هي خليط من الآرامية والكنعانية وكثير من اللغات - سامية وغير سامية - لا يرجع تاريخ ظهورها إلى ما قبل سنة ١٩٥٠ ق م .

وإذا علمنا أن موسى ولد في مصر ، وعاش في مصر ، وكثفت ثقافة مصرية ،

(١) (المال شارار - محرر - تاريخ عند العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث [ج ١ ص ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٠] . ترجمة - أحمد محمد مرعدي . تقديم ومراجعة د . محمد خليفة حسني - طبعة المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة سنة ٢٠٠٠ م .

وندرج في مختلف الوظائف العسكرية حتى أصبح - كما يحدث المؤرخ اليهودي فلافيوس [٣٧ - ١٠٠ م] صانعاً في الجيش المصري ، ولم يخرج مع من حرموا إلى سيناء - التي كانت وقتئذٍ إقليمًا مصريًا - إلا ليواصل حياته المصرية بعيداً عن استبداد الفرعون ، ولم ير موسى فلسطين ، وتوفي قبل أن تظهر العبرة إلى الوجود بأكثر من قرن ، فلقته كانت ولا شك لغة المصرية القديمة .. »^(١) .

ولقد صرّب الدكتور فؤاد حسين علي الأمثلة على الناقضات والتعديلات والتحريفات التي أصابت نصوص هذه الأسفار - على امتداد قرون - تأليفها - كما قال العلماء الحبراء اليهود - فقال :

« لقد درج بعض الناصح على التعليق على النص دون الإشارة ، فصمت تعليقاتهم إلى المتن ، وقد وُفِّقَ مثل هذا عند ذكر المدينة المصرية [سين - أسوان] إذ علّق الناصح بعبارة : « حصص مصري » ، فصمت هذه العبارة إلى المتن [حرقيل . إصحاح ٣٠ - ١٥] - كما تعرضت عبارات وألفاظ كثيرة إلى التحريف ، فخرجت عن معانيها الأصلية ، فاضطرب المعنى واحتلّ الأسلوب - [إشعيا . إصحاح ٢٩ - ١٠] .

وذهب الناصح بعيداً فاستكملوا النصوص الناقصة ، مثل قانون الملك شموئيل الأول - [شموئيل الأول . إصحاح ٨ - ١٠ - ٢١] .

(١) د فؤاد حسين علي [الفرار اليهودية] ص ٢ ، ٥ ، طبعة القاهرة دار الكاتب العربي - سون تاريخ .

كما استباح اليهودي المنعصب لكتابه لفسه الحق في تعبير ما جاء في
المن ، لأنه لا يروقه - [أيوب ، إصحاح ١ - ٥] فالعارة الممسوبة إلى
أيوب : « لأن أيوب قال ربما أخطأني وجذفوا على الله في قلوبهم » هي -
في الواقع - كما يعتقد مارتن لوتر - « أن أسائي اقترعوا إلها وأنكروا الله » .
إلا أن الناصح شق عليه إثبات هذا الصعي .

ومما يؤكد رأي مارتن لوتر ما جاء في العهد القديم - [مرمور ١٠ - ٣] ،
والآن نساءل : ما مدى أصالة النص العربي ؟ هل هو النص الأصلي
القديم الذي قد يعتمد عليه ؟

يكفي الباحث أن يقرأ فيه هذه المواضع المذكورة - [قابل بين مرمور ١٨
وشعوبيل الثاني ، إصحاح ٢٢] ليدرك قيمة هذا السؤال .

والذي نعلمه أن هذا النص تعرض سميراً لأعمال الحرق والإبادة بسبب
الحروب الداخلية أولاً ، والغزو الأجنبي ثانياً .

إن التوراة السامرية - وهي ترجع إلى القرن الرابع ق.م. تختلف عن النص
العاموري في أكثر من ستة آلاف موضع ، كما أن المصحح السامرية تفنن
مع الترجمة السبعينية في الثالث - والترجمة السبعينية ليست في
مجموعها دقيقة ، وبخاصة في إشعيا والمزمير ودانيال ، حيث نجد
الترجمة حرة غير دقيقة . كما أن سفر أرميا يقص عن النص ' العربي نحو
المسح ، كما يقص سفر أيوب نحو الربع .

كما نلاحظ الاضطراب الكثير عند ترجمة بعض الألفاظ العبرية إلى
اليونانية ، كما أن هذه الترجمة لم تنم في عصر بعينه ، والتوراة مثلاً تمت

ترجمتها في القرن الثالث ق . هـ أما سائر الأسفار الأخرى فقد ترجمت في عصور متأخرة . لذلك فالآراء متصارعة حول الترجمة السبعينية ، ليس فقط حول ترتيبها وتسبيق أسفارها ، بل حول اختلافها أحياناً عن النص العبري وترتيب العهد القديم العبري ، فضلاً عن أن الترجمة السبعينية تضم أسفاراً ليست شرعية ، ولم ترد في النص العبري ، لذلك استندت ترجمة أخرى ، ألا وهي ترجمة (ثيودوثيون Theodotion)^(١) .

هذه الشهادات العالمة - الواقعية .. والتي استندت إلى قواعد علم نقد النصوص - تسقط مصداقية هذه الأسفار التي كرمت « ثقافة لرداء الأسفار والمرسلين » .. ومن ثم تضع هذه الثقافة الخربة والمعتومة من الأسفار . وتدعو الذين قدموها .. ونروا عليها ، إلى الحروح من المستقيم الذي سقطوا فيه .

ولقد استند نقاد نصوص هذه الأسفار كذلك - في نفي مصداقيتها وموثوقيتها - إلى ما حوته من تناقضات تباعد بينها وبين أن تكون كلام الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ جِوَدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [الباء: ٨٢] . وعن هذه التناقضات يقول العلامة الأستاذ الدكتور فؤاد حسين علي : إنه لا يوجد بالفوراة التي بين أيدينا حشر يُشتم منه أن موسى هو الذي جاء بها أو أنزلت عليه ، بل على البقيس من هذا يوجد فيها ما يزيد عكس هذا ، ومن هذه الأدلة مثلاً :

(١) المرجع السابق - ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ .

ما جاء في الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى ، فعبد البعد كله أن يكون هذا البحر صاعقاً عنه فقد ورد في هذه الآية : لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا . . .

وفي الآية العاشرة من نفس الإصحاح جاء : ولم يلم بعد مي في إسرائيل مثل موسى ، فكان حليفاً حليماً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض . . .

فكأن هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص آخر غير موسى ، كما أن هناك زمناً بعيداً بين وفاة موسى وبين تأليف التوراة التي بأيدينا . ومن الأدلة الأخرى على ذلك ، الاختلافات والتناقضات في المعنى . كما تستعمل [يهوه] [إلوهيم] وبعض الألفاظ الأخرى التي يعلم أن معانيها تختلف أحياناً حسب السمة وحسب الزمن . . . ولنتي لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد وفي عصر واحد .

قصة الخلق مثلًا جاءت في سفر التكوين - الإصحاح الأول : ٢٧ - فيها . كان الإنسان آخر الخلق . وعرض لنفس القصة في نفس السفر - الإصحاح الثاني ٤ - ٢٥ - فكان الإنسان هو الأول ، وبعد جاءت الأشجار ، الحيوانات الحفول ، وظهر السماء . . الأمر الذي يحتمل التوراة - كما هي الآن - وليدة عصور ونساج عقليات متنوعة .

وقد استعملت في سبيل وضعها مصادر عديدة ، بعضها ذكر كما هي ، وبعضها تحذف منه أو أضيف إليه .

ومن أدلة تعدد المصادر : الاضطرابات الموحدة في بعض القصص ،

مثل قصة الطوفان : فالآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام [٤٠] يوماً و [٤٠] ليلة ، يسامقاً في الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع من نص السفر أنه دام [١٥٠] يوماً ثم إن أقدم المخطوطات الموحدة للثورة الحالية تعصل يساً وهي النسخة الأصلية التي كُتبت عنها مدة تقرب من الألف عام ، وفي هذه المدة طرأ على الكتابة العرصة شيء كثير من التصير والتبدل .. (١) .



كذلك اعترف البابا شقودة - بابا الأرثوذكس - بأن : حص الأسفار القانونية ، التي تعترف بها الكنيسة الأرثوذكسية ونقراها قد حدثت من الطبعة المتداولة الآن من العهد القديم ، تلك التي يطبعها ويرجعها الرومنستان ١١ . أي اعترف بأن كتابه المقدس منقوص ، قد حدثت منه هذه الأسفار ، المختلف عليها بين كنائس المسيحية !! .. (٢) .



وإذا كانت هذه نواذح من شهادات العلماء الجراء على ما حدث للثورة من تعديلات وإضافات وتحريفات ، حرحت بها عن أن

(١) د. فوزي حسيني علي [الثورة عرص وتحليل] ص ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ .

٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٦ م .

(٢) صحيفة [وطني] - لمسيحية - القاهرة في ٥ - ١٠ - ٢٠٠٦ م

تكون حائصة لكلمات الله ووجهه وإذا كنا قد سبقنا - في الزهرة على ذلك - شهادة العلماء الحمرء اليهود في « علم نقد المصنوس » ، لتكون شهادة شاهد من أهلها .. فإن هناك شهادات نصرانية كثيرة على تدني مصداقية وموثوقية الأناجيل التي اعتمدتها الكنائس المسيحية منذ عصر الدولة الرومانية .. وبقرار منها ١ - .

لقد غاب إصحاح عيسى واحتمى ١ .. كما عابت -وراة موسى واحتجعت ١ .. وفرضت الدولة الرومانية على الكنائس النصرانية أربعة أناجيل ، هي أنواع من « التنوير .. والتواريخ » التي لا تمثل وحي الله وكلماته التي أنزلها على المسيح - عليه السلام - .. والتي كتبتها كُتَّابٌ غير معصومين - بل ومجهولون ١ - وفي حقب بعيدة عن زمن المسيح ١ ..

ولقد شهدت [دائرة المعارف البريطانية] - وهي أكثر موسوعات الحضارة العربية المسيحية موضوعية ودقة واحترافاً - شهدت على « حال » هذه الأناجيل الأربعة .. ومدى مصداقيتها وموثوقيتها ، فقالت - في المادة التي كتبتها عن هذه الأناجيل - عن

١ - « إنجيل متى : » إن يكون متي هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بحد ١ [مجلد ٦ ص ٦٩٧] ، ومن المثلثم به أن متي قد اعتمد في كتابة إنجيله على إنجيل مرفس ، أول الأناجيل تأليفاً ، حيث جرى ٦٠٠ عدد من أعداد إنجيل مرفس البالغة ٦٢٦ عدداً ، أي ٩٠ ٪ من محتويات إنجيل مرفس .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن : كيف يعتمد متي ، وهو حوار

المسيح الذي لأرمه منذ بداية دعوته ، على إنجيل كنهه مرقس ، وهو تلميذ الحوارى بطرس ، أي من الصف الثاني من أتباع المسيح ١٢ ..

ب - إنجيل مرقس - تقول عنه الموسوعة البريطانية

« في أفصل المخطوطات ، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعبر عموداً إضافات متأخرة . والأعداد الأخيرة - ٩٠ - ١٦ - ٢٠ غير موجودة في بعض المخطوطات ، ويوجد عوضاً عنها مقاطع أقصر في مخطوطات أخرى . وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء » - [المجلد الثاني ص ٩٥١ ، ٩٥٣] .

ج - إنجيل لوقا : تقول عنه الموسوعة البريطانية ١٠ : إن مؤلف هذا الإنجيل بطل مجهولاً - [المجلد الثاني . ص ٩٥٤] -

د - إنجيل يوحنا : هو الإنجيل الوحيد الذي من يكل صراحة على ألوهية عيسى ، حيث نقل عن عيسى أنه قال : « أنا والآب واحد » - يوحنا ١٠ ، ٣٠ . الذي رأني فقد رأى الآب » - يوحنا ٩ : ٩ - « أنا في الآب والآب في » - يوحنا ١٤ : ١٠ .

ويتعارض هذا الإنجيل مع الأناجيل الأخرى في أمور هامة جداً

وحاسمة ، فهو يذكر أن المسيح صلب يوم ١٤ نيسان - [إبريل] بينما عنهم من نية الأناجيل أن الصلب كان يوم ١٥ نيسان . ولا يذكر يوحنا في إنجيله تفاصيل رواية القربان المقدس أو العشاء الأخير ، التي أصبحت فيما بعد شجرة من شعارات المسيحية . ولا يذكر أن المسيح تعتد بواسطة يوحنا المعمدان . وفي حين يفهم من إنجيل يوحنا ، أن

رسالة المسيح استعرفت ثلاثة أعوام ، فإنه يفهم من الأناجيل الأخرى أنها استعرفت عامًا واحدًا .

ويوحنا هو الوحيد الذي ذكر أن عيسى أبحر تلاميذه قبل ضلّيه أنه سيرسل « العارقليط » . وهذه الاختلافات الهامة - وغيرها كثير - جعلت الموسوعة البريطانية تورد قول الأسقف « بايلاس » - العنوقى سنة ١٣٠ م - عن وجود أكثر من يوحنا - يوحنا بن زبدي الحواري - ويوحنا آخر هو الكاهن في أفسس .

وهي داخل الإنجيل يفهم أنه كتبت بواسطة حواري محبوب مجهول الاسم .

وبما أن الشواهد الداخلية والخارجية مشكوك فيها ، فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هي

أن إنجيل يوحنا ورسائل حررت في مكان ما في الشرق ، ربما في أفسس ، كإنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيوحنا في نهاية القرن الأول الميلادي « - [المجلد الثاني ص ٩٥٥] .

كما أن تاريخ كتابة هذه الأناجيل متأخر عن عصر المسيح - عليه السلام - وتاريخ رفعه .

ولذلك فهي تتحدث عن أحداث سابقة على تاريخ كتابتها ، ومن ثم فهي فائدة لشروط الشهادة على هذه الأحداث .

فأقدم هذه الأناجيل - كما تذكر ذلك [الموسوعة البريطانية] - المجلد الثاني ص ٩٥٣ - ٩٥٥ . وهو إنجيل مرقس . كتبه ما بين سنة ٦٥ و سنة

٧٠ م - أي بعد ثلاثين عامًا من زرع المسيح - عليه السلام - .
 وإنجيل متى كُتب ما بين سنة ٧٠ م و ٨٠ م .. وإنجيل لوقا كُتب
 سنة ٨٠ م .. أما إنجيل يوحنا فكتب في نهاية القرن الميلادي الأول
 هذا إذا سلمنا بأن كُتّابها هم الذين نسبت إليهم كتابتها ١ .. مع الأخذ
 في الاعتبار أن مرقس ولوقا لم يشهدا أحداث القصة التي كتبها .. وإنما
 كتبا ما سمعاه شيوخًا من قصص تلك الأحداث ، نقلًا عن الجيل السابق
 عليهما ٢ .

وكما يقول الأسقف « بايلاس » - المغموي سنة ١٣٠ م - أي المعاصر
 لكثرة هذه الأناجيل - .

إذ إن مرقس الذي كان برحمانًا لبطرس ، قد كتب القدر الكافي من الدقة
 التي سمحت بها ذاكرته ما قبل عن أعمال يسوع وأقواله ، ولكن دون مراعاة
 للنظام ، لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع ، ولا كان يأنس شخصيًا له ، لكنه
 في مرحلة متأخرة .. قد تبع بطرس ٣ .

وفي هذا النص الخطير للأسقف « بايلاس » تصريح بأن مرقس قد كتب
 ما سمحت ذاكرته . ودون مراعاة للنظام .

الأمر الذي يميّزنا فاضطًا عن هذه النصوص النصرة صيغة الوحي
 الإلهي المحر عن كلمات الله ، فهي « ذكريات بشرية . تعترف للبهاء ٤ .

(١) د. أحمد عبد الوهاب [المسيح في مصادر تعقائد المسيحية] ص ٥١ - مكتبة
 وهبة - القاهرة سنة ١٩٧٨ م .

ولقد قال ، الأب كانهيجسر R P KANENGESSER - الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس : « يجب الأخذ بحرفية الأناجيل .. فهي كتابات ملهمة حاصية ، حرر مؤلفوها تراث جماعتهم المسيحية » . كما كتب مؤلفو كتاب [الترحمة المسكونية للعهد الجديد] - وهم أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت - فقالوا : « لقد جمع المشركون وحرروا ، كل حسب وجهة نظره الخاصة ، ما أعطاهم إياه التراث النسخي » . كما قال العلامة الفرنسي الدكتور موريس بوكاي : « إما لا نملك أي شهادة لشاهد عيان لحياة المسيح . وهذا خلاف لما يتصوره كثير من المسيحيين » (١) .

وكما نقول [دائرة المعارف البريطانية] : فإن جميع النسخ الأصلية للعهد الجديد ، التي كتبت بأيدي مؤلفيها الأصليين ، قد اختفت . وأن هناك فاصلًا زمنيًا لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة سنة بين أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته الموحدة حاليًا [المجلد الثاني ص ٩٤١] .. وعلاوة على ذلك .. فإن هناك أكثر من مائة وخمسين ألفًا (١٥٠.٠٠٠) من مواضع الاختلاف بين المخطوطات التي طبع منها الأناجيل المتناولة الآن ! .. وهذه الاختلافات ليست بين مخطوطات الأناجيل المختلفة فقط . بل وفي مخطوطات الإنجيل الواحد .. وبص عبارة [الموسوعة البريطانية] . المجلد الثاني ص ٩٤١ : « فإن جميع نسخ

(١) موريس بوكاي [دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة] ص ٧٨ ، ١١

الكتاب المقدس قبل عصر الطباعة تظهر اختلافات في النصوص .. وإن مقتنيات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد ، والتي تعطيها تقريباً ، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفاً من الاختلافات بين النصوص (١) .



تلك شهادات العلماء الحبراء بأنجيل العهد الجديد .. مسخاً طرقات منها - بعد شهادات العلماء الحبراء بأسفار العهد القديم .. لبيان مكانة هذه المصحف ، التي كتبها بشرٌ بُدِّلُوا وَغَيِّرُوا وَخَرَّفُوا . كلمات الله . وبذلك يتغير ويمتاز القرآن الكريم - « الإعجاز - المتشعبي » ، والثقافي - المتفجر .. والذي حشنت له وشهدت ملكات الإبداع بأنه وحي الله المباشر الذي لم يعبثه أي حريف أو تعبير أو تدبيل .. يتغير ويمتاز عن الكتب التي تدخلت في كتابتها أيدي البشر .. ثم رعموا أنها من عند الله .. يتغير الكتاب [الذي لا ريب فيه] عن الكتاب الذي قال الله في أحله ﴿ قَوْلٌ لَّيْلِيٌّ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْشَرَاهُ بِهِ شَكًّا لَّيْلًا قَوْلٌ لَهُمْ فِيمَا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ فِيمَا يَكْتُبُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] .



(١) انظر في ذلك - أيضاً - محمد السعدي [حول موثوقية الأناجيل والتوراة]

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
مدخل عن إعجاز القرآن وشهادات	١٣
شهادات	٢٠
مسلمة وأحفاده	٢٢
وشهد شاهد من أهلها	٢٨
شهادة شيخ الأئمة	٣٢
الشيعة والقرآن	٣٨
الترحيب بمراجعات الشيعة حول مسألة التحريف وتحليلهم	
الباطل الموحود في كتبهم	٤٣
وماذا على الضفة الأخرى	٤٧
تخادع من شهادات العلماء الخبراء على ما حدث للتوراة من	
تغييرات	٤٩
شهادة دائرة المعارف البريطانية على حال الأناجيل الأربعة	٥٨
اختصيات	٦٤

عبد المحسن

القرآن يتحدى

هَذَا الْكِتَابُ

كنت نغدي الإس والحق أن يأتوا بسورة من مثله - ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - وشهد له الخبراء - من غير المؤمنين - أنه ليس كلام بشر فقال قاضي قريش « الوليد بن المغيرة » : « ما هو من كلام الإس ولا من كلام الحق . وإن له خلوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه يعلمو ولا يُعلم عليه » . أما النفس الإنجليزية « مونتجمري وات » - الخبير في الكتب المقدسة - فلقد قال : « إن القرآن هو وحي الله المباشر إلى محمد لم يصبه أي تحريف عندما نغدي محمد أعداءه أن يأتوا بسورة من مثله ، كان فطرياً أن يعجزوا عن مواجعة التحدي ، لأن هذا القرآن من عند الله ، وما كان لشرك أن يتحدى الله » . - هذا هو القرآن الكريم . « الإصحاح المتحدى » ، الذي شهد له الخبراء المصنفون . حتى من غير المؤمنين

و محمد بن عبد الله

